الفنون الإسلامية

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد الخامس عشر (١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ)

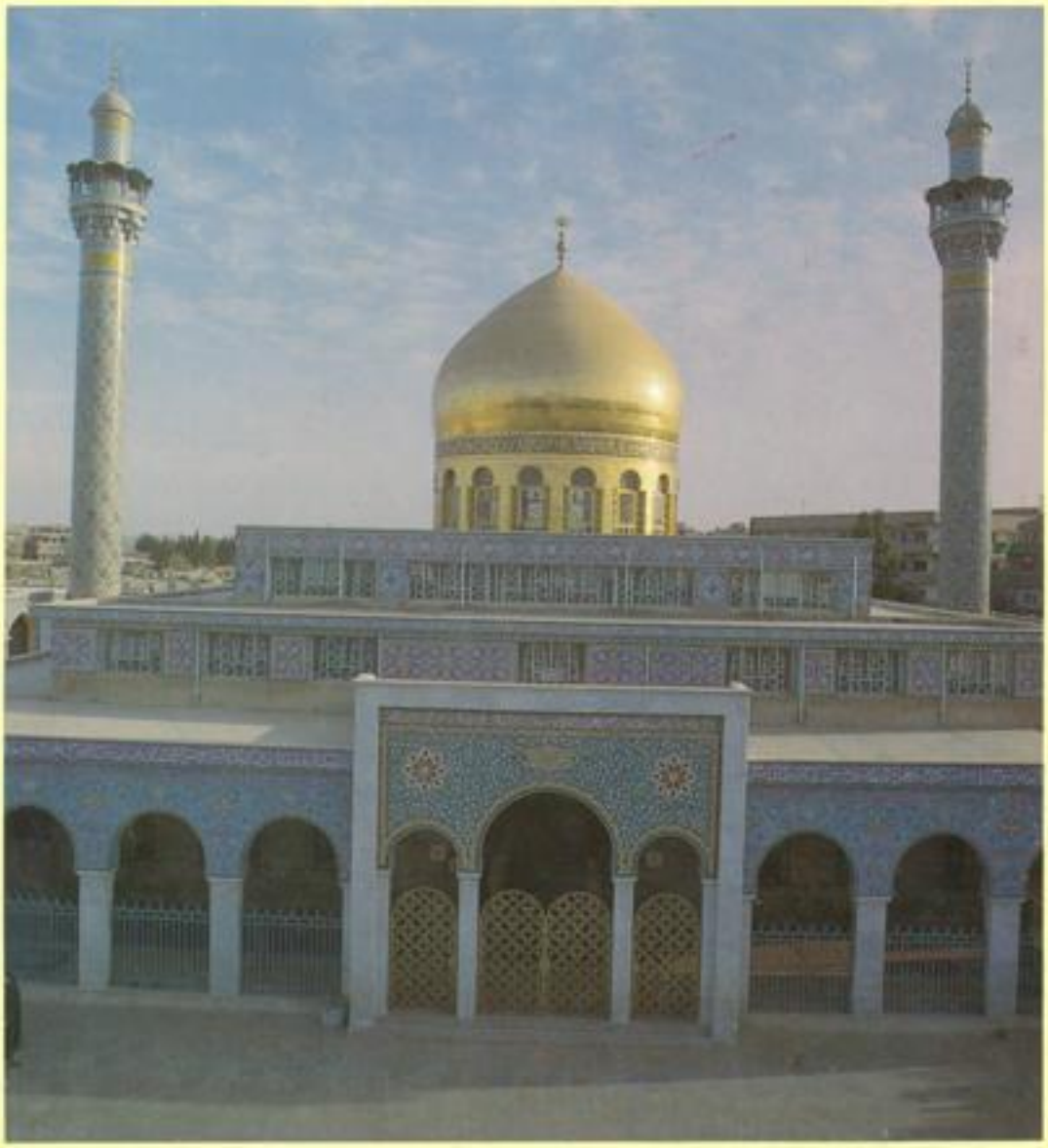

المشهد الزينبي الشريف بدمشق، الشام

الإمامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

مؤسس

أكاديمية الكوفة

هولندة

المركز العالمي لعلوم أهل البيت عليهم السلام

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.aimawsem.net
www.shiaparlement.com

مملكة أود الشيعية في الهند

(1722 ـ 1859 م)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تأليف

J.R.I.Cole

تدريب خاص بمجلة الموسم لكتاب

Roots of North Indian shi°ism in Iran and Iraq
Religion and state in A wadh, (1722- 1859).

منشورات جامعة أكسفورد 1989.

القسم الأول

الشيعة في شمال الهند

مقدمة

هناك حادثان معاصران يؤكدان أهمية الدين كعنصر في تكوين الدولة في غرب وجنوب آسيا، وهما نشوء الباكستان في عام١٩٤٧ من الهند أو ظهور دولة الباكستان، والثورة الايرانية (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩).

وربما تحدثنا عن «القومية الاسلامية» ولكن من الافضل أن نكون عبارة مثل «الهوية السياسية» بدلا من كلمة «القومية»[١]

ومهمايكن من أمر فإن الفرق الاسلامية وبناء الدولة الاسلامية علَى أساس ديني قد أحدث تأثيراً عميقاً في التاريخ الحديث لآسيا على نقيض تام مع نمو الدولة غير الدينية في اوربا الحديثة.

واذا أردنا أن ندرس آسيا الاسلامية أو الاسلام في آسيا فيجب ان نبحث في جذور بناء الدولة الدينية[٢] ، لقد كان المسلمون والهنود قبل عام ١٩٤٧ يختلفون في شبه القارة الهندية عن بعضهم.

ان المفاهيم الدينية الاسلامية تشكل بعمق هوية المجتمع حتى أن تشكل الحركات الطائفية على أساس ديني، وتأكيد الهوية السياسية على أساس الدين شيئان من المميزات الاساسية للمسلمين[٣] .

- على ان التجربة التاريخية والتقاليد أو التراث الثقافي يمكن أن يفسر لماذا كانت التفرقة الدينية أو الانفصالية الدينية كانت أكثر أهمية في شمال الهند، عنها في جنوبه، كما انها أيضاً أكثر أهمية في الشرق الاوسط مما هي في شرق آسيا[٤] .

ولما كانت الانفصالية الاسلامية قد نمت كحركة سياسية في وقت مبكر لمنطقة سهل الكانج Gangetic (الآن مقاطعة أوتر براديش)، فإن تاريخ المسلمين يبدو بشكل خاص هاماً لتفهم مواقفهم تجاه الصراع الطائفي، فإن جزءاً هاماً من هذه المنطقة قد حكم في الفترة مابين عامي ١٧٢٢ ـ ١٨٥٦ م، من قبل حكام من الشيعة المسلمين، والسؤال الذي يُطرح هنا هو ماذا كان الحكم الشيعي والافكار الدينية تعني بالنسبة للتقاليد الطائفية في المنطقة.

وفي دراسة هذه المنطقة من شمال الهند التي حكمها الشيعة المسلمون، أهدف الى

---

(١) مالكولم ياب، اللغة، الدين والهوية السياسية: إطار عام في كتاب تأليف دافيد تايلور ومالكولم ياب، تحرير الهوية السياسية في جنوب اسيا (لندن، ١٩٧٩) ص١ـ٣٣.

(٢) بول براس، الجماعات الدينية والهوية العرقية بين مسلمي جنوب آسيا، في الكتاب السابق ص٣٩.

(٣) فرانسيس روبنسون: الإسلام والانفصالية الإسلامية في الكتاب السابق ص٧٨.

(٤) انظر بندكت أندرسون، المجتمعات الخيالية: إنطباعات حول أصل وانتشار القومية في شمال الهند (لندن، ١٩٨٣) وكتاب براس Brass، اللغة، الدين والسياسة في شمال الهند.

إلى توضيح بعض جذور الحركة الطائفية الإسلامية في سهل الكانج والسياق التاريخي لنشوء السيطرة الدينية في إيران الشيعية.

وأتساءل عما إذا كان شكل واحد من التنظيم الديني قبل الفترة الصناعية أكثر قابلية لأن يؤدي إلى تشكل طائفة حديثة، وتظهر أنه في شمال الهند نشأت أعمال جماعية، شجعها العلماء الشيعة وسادة القوم، وقد شكلت خلفية أساسية ثم فيما بعد سياسة، وبالنظر إلى تكون الايديولوجية لدى العلماء، ساهمتُ في المفاهيم الاساسية لنشاطهم المعاصر.

وهذه الدراسات للشيعة الاسلامية ورجال الدين الشيعة وتنظيماتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تعالج عدة موضوعات مهمة تشكل أحد جذور الحركة الطائفية الدينية، فهي تتساءل عن دور الدين في التعبير عن القيم الثقافية الاسيوية الفطرية في الوقت الذي توسع فيه النفوذ الاوروبي، كما أن هذه الدراسة تبحث في التأثير الذي أحدثه التغير الاجتماعي والاقتصادي في المؤسسات الدينية وفي القيم، كما أنها تكشف الصلة ما بين العلماء الدينيين والموظفون في الدولة. وهذا يوضح الخطوات التي بواسطتها يمكن للطائفة الصغيرة التي لا قوة لها، ان تصبح مؤسسة دينية كبيرة.

إن الدراسة تهدف إلى الربط مابين التاريخ الاجتماعي وعلم الاجتماع وعلم الاجتماع التاريخي للدين، ونظراً لاهمية خلفية الطائفية الدينية، فإن الدراسة تطرح سؤالاً عن مدى تأثير الانتقال الى مجتمع ديني ما على العلاقات مع سائر المجتمعات الدينية.

وفي بحثي هذا تكونت لدي قناعة بأن المعلومات يمكن ان توضح بشكل أفضل بالرجوع الى علم اجتماع الدين وبأخذ أفكار ماكس ويبر Max Wefer، وهذه القناعة لم تتأكد فقط من خلال كتابتي، بل بالمظهر، وذلك بينما كنت أراجع معالجة أرجموند الممتازة للتشيع في ايران، من عام ١٥٠١ ـ ١٨٩٠ (٥) ، وقد استفدت من أعمال أو مؤلفات بريان ولسون ونبتون جونسون، اللذان وضحا مفاهيم الاجتماع الديني، على انه هناك سؤالاً لم يحل وهو دور الدولة في تعريف الجماعات أو تحديدها كطوائف ومؤسسات دينية، وهو ما يبحث فيه هذا الكتاب. وقد استفدت أيضاً فائدة كبيرة من مؤلفات بريان.س. تورنر وفرانك باركين، وإن كلا من المؤلفين يبحثان في مفاهيم ويبر Weber، وقد وجدت في تطوير باركين لفكرة(الانغلاق الاجتماعي) مساعدة كبيرة لي لتفهم شيئين، اولاً الاحتراف الديني من رجال الشيعة في القرن الثامن عشر، وقيام حدود طائفية متزايدة فيما بين الشيعة المسلمين وسائر الجماعات الدينية.

أما تورنر فقد انتقد الطلاب المسلمين لتأكيدهم على المطابقة الافقية(النموذج المركب من عناصر مختلفة(الفسيفسائي) وفيه تتنافس الجماعات المختلفة والقبائل والاحياء)، واستثناء التحليلات التي بُنيت على أساس المطابقة العمودية(طبقات المجتمع كما تقررها العلاقة بوسائل الانتاج)، وعلى الرغم من أن الطبقات الاجتماعية الحديثة لا تتواجد في جنوب وغرب آسيا ما قبل الفترة الصناعية فإن الطبقات قد تواجدت بالتأكيد.

وإن تصنيف الشيعة إلى الفئات التالية كان له تأثير كبير على شبكاتهم الاجتماعية

---

(٥) انظر ماكس ويبر، الاقتصاد والمجتمع: تحرير. جونز روث وكلاوس ويتيش، مجلدان (بركلي ولوس أنجلس: مطبعة كاليفورنيا،١٩٧٨) الفصل(٦)، وكتاب سيدامير أرجموند: ظل الله والإمام الغائب (شيكاغو، مط. جامعة شيكاغو، ١٩٨٤).

وممارساتهم الدينية[٦] . ١ ـ طبقة حاكمة من أصحاب الاراضي والتجار الاغنياء، ٢ ـ طبقة متوسطة من أصحاب الاراضي المتوسطين والحرفيين، ٣ ـ جماعات العمال والتجار الافقر حالاً.

كذلك فإن هذا الكتاب لدى دراسته للجماعات الدينية ورجالها يؤكد على اهميةٍ تاريخ الشيعة الامامية في معظم أنحاء جنوب وغرب آسيا، فلم يكتب من قبل إلا القليل من الكتابات عن هذا التاريخ، فقد أظهرت الشيعة الاثني عشرية وهي فرع من الشيعية في الاسلام وتشكل ١٠٪ من المسلمين في العالم، منذ عام ١٥٠٠ م ديناميكية مدهشة. فالشيعة يسيطرون على ايران، ويشكلون الغالبية في العراق، ومنهم قسم كبير من الاقليات الهامة في لبنان، سوريا، تركيا، الخليج الفارسي، وأفغانستان وشبه القارة الهندية.

وقد اجتذبت الشيعة في العصور الاسلامية الاولى الاهتمام من قبل الدارسين، طالما ان مسألة خليفة النبي صلى الله عليه وسلم ترد في كل مناقشة حول المجتمع الاسلامي المبكر. وعلى الرغم من ان الشيعة الامامية قد نمت وتطورت خلال قرنين من الزمان فإن بذورها تكمن في التنافس القديم الزعامة ما بين ابن عم الرسول وصهره علي رضي الله عنه، وبين كبار سادة قريش الذين انتخبهم المجلس المؤلف من قلة.

وقد كان معظم المسلمين الاوائل يعتقدون بأن من خلف الرسول بحق هو الخليفة أبو بكر وتبعه عمر ثم عثمان، وأخيراً علي الذي أصبح الخليفة الرابع، لكنه سرعان ما قُتل أو استشهد ثم توصل أعداؤه الامويون إلى السلطة لمدة قرن من الزمان، واعتقد أتباع علي من الشيعة بأن لعلي ونسله الحق في تولي الحكم في العالم الاسلامي، وهكذا كوّن الشيعة فرعاً من الاسلام متحدياً الحكم القائم في العصر.

وقد اعتقد الشيعة الامامية بأن إحدى عشر من نسل الامام علي هم قادة يحق لهم زعامة الامة الاسلامية وقد حال دونهم ودون الحكم الخلفاء الراشدون ثم الامويون وبعدهم العباسيون.

وهم يحتفلون بذكرى وفاة الامام الثالث بشكل خاص وهو(الحسين) توفي ٦٨٠ م، في كربلاء بعد معارضته للملك الاموي يزيد، ويعتبر الشيعة الامامية أن آخر خلفاء الامام الاول، وهو الامام الثاني عشر قد اختفى وهو طفل إلى عالم روحي من حيث يحكم في الخفاء العالم إلى الابد وسيعود يوماً ما في المستقبل[٧] .

وقد كان الاماميون منذ عام ١٥٠٠ م ينتظرون عودة الامام من غيابه أو من اختفائه الخارق.

وقد كتب الباحثون المعاصرون قليلاً جداً عن الديانات، والتطور الذي حدث في آخر العصر الوسيط وأوائل العصر الحديث، الذي شهد تأسيس الدول التي يحكمها الشيعة في ايران الهند.

---

(٦) أنظر بريان س. تورنر: ماركس ونهاية السمة الشرقية(لندن، ١٩٧٨)

(٧) س. هـ. م. جفري: الأصول والتطورات الآولى للشيعة في الإسلام(لندن: لونجمان، ١٩٧٩) وكتاب و. مونتجمري وات: الفترة التكوينية للفكر الإسلامي (إدنبرغ، ١٩٧٣).
عبد العزيز أ. ساشيدينا: فكرة المهدي لدى الشيعة الإمامية (الباني: مط جامعة نيويورك ١٩٨١)، ومن أجل دراسة مفيدة كاملة انظر، موجان مومن Moojan Momen: مقدمة للشيعة الإسلامية (نيوهافن مط: جامعة يال، ١٩٨٥).

ونجد انه منذ فترة ليست ببعيدة، فإن مشهد المجلس النيابي الذي يحكمه رجال الدين في ايران ويمارسون سلطتهم السياسية قد أربك الغرب وأدى إلى ظهور العديد من الكتب والمؤلفات.

وقد طرحت تساؤلات هامة عن تفرد العالم الاسلامي بالمؤسسات الدينية الشيعية الامامية وبالفكر الشيعي، هل هذا الشكل من الاسلام هو غير قابل للامتزاج مع الحكومة غير الدينية من غيره من الاشكال؟ وهل يتضمن اندفاعاً نحو الثيوقراطية أي الحكومة الخاضعة لحكم رجال الدين؟

إن مثل هذا السؤال لا تتم الاجابة عليه من خلال الدراسات التاريخية حول المبادىء الدينية في الشيعة الامامية.

وقد ظهر التناقض حول دور العلماء في كل دولة حكمها الاماميون في التاريخ مثل: البويهيون، الصفويون، والقاجاريون في ايران، القطب شاهيون في جنوب الهند في العصر الوسيط، والنيشابوريين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في شمال الهند، ولا نحصل على دراسات معقولة عن طبيعة العقيدة الشيعية والتراث الثقافي إلا من خلال الدراسة المفصلة للعلاقة ما بين الحكومة والمؤسسات الدينية في كل من هذه الدول التي حكمها في التاريخ الشيعة الاماميون، والدراسة الحالية في هذا الكتاب تبحث في الشيعة في شمال الهند بعد المغول حيث حكم الشيعة دولة أود Awadh أو Audh كما تكتب في الاملاء الانجليزي القديم.

وتعقد هذه الدراسة مقارنات مع التطورات المعاصرة في كل من العراق والهند كما انها تؤكد على الشبكات العالمية التي تكونت بفعل الهجرة من قبل العلماء، والحج، والزيارات والرحلات من اجل الدراسة.

وهناك قضايا ساخنة كثيرة سيطرت على الكتابات الحالية حول دور العلماء الشيعيين، وبعضها يتصل بدور رجل الدين وفقاً للكتب المقدسة الخاصة بالامامية، في حين ان البعض الآخر يركز على التصرفات التي قام بها العلماء في التاريخ.

وقد ألح «جوزيف إيلياش» Joseph Eliash على ان المجموعات الاولى من الاحاديث الشفهية للرسول (ص) وللائمة لا تتضمن تعيناً للسلطة من قبل الائمة للعلماء، وانه على الرغم من ان المحدثين بالاحاديث الشفهية للائمة قد اتهموا بالتصرف كقضاة غير رسميين في النزاع بين الشيعة، فإن المجتمع يمكن ان يبطل قراراتهم فيما لو كانت ترتكز على احاديث شفهية لا تقبل كأحاديث موثوق بها[٨]

اما نورمان خلدر Norman Galder فقد كتب منذ فترة وجيزة عن تطور احكام الشريعة لدى الامامية من القرن العاشر حتى الخامس عشر، وقد بين انه بعد غياب الامام الثاني عشر فإن معظم الشيعة يعتبرون ان المهام التي تتعلق بالدولة لا يمكن القيام بها حتى عودته، اما الامامية في القرن الحادي عشر فيعتبرون ان الامام وحده يمكنه ان يجمع ويوزع الضرائب

---

(٨) جوزيف إيلياش: سوء الفهم المتعلق بالوضع القضائي للعلماء الإيرانيين، مقال في المجلة الدولية للدراسات الشرق أوسطية ع(١٠)، ١٩٧٩، ص٩ـ٢٥

International Journal of Middle East Studies..

الدينية ويؤم صلوات الجمع، ويقود الحرب المقدسة (الجهاد). وفي غيابه اهملت هذه الامور.

اما العلماء الذين يتبعون المدرسة الاصولية العقلانية لاحكام الشريعة فقد أظهروا بالتدريج حقهم في التصرف كوكلاء عن الامام(٩)

وقد دافع الاصوليون عن استخدام الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية واعتبروها كمصدر للشرع الاسلامي.

وقد وثقوا كعقلانيين بالفكر الانساني والفلسفة اليونانية كأداة لاكتشاف ارادة الامام الغائب، او وصية الامام الغائب.

وقد عارضهم العلماء الاماميين من المدرسة الاخبارية المحافظة الذين قيدوا الشرع بالتفسير الحرفي للاحاديث الشفهية المنقولة عن الائمة ومنعوا استخدام الوسائل العقلانية في الدين وفي احكام الشريعة.

اما عن علاقة رجال الدين بالدولة، فقد الح البعض على ان العلماء الشيعة في الفترة الحديثة لعبوا دوراً معارضاً للحكومة وظهروا كزعماء شعبيين ضد الدولة القاجارية المستبدة (١٧٨٥ ـ ١٩٢٥) والتي انضمت تحت حكم اجنبي، وهناك افتراض طبيعي هو ان رجل الدين الشيعي كان ينظر الى الحكم القاجاري في ايران على انه غير شرعي وكان يتجنب اي اتصال بالدولة(١٠).

اما ويليم فلور Willem Floor وغيره فقد قرروا غير ذلك، فعلى النقيض «ان الشخصية الثورية التي تنسب الى العلماء الشيعة في ايران فيها كثير من المبالغة، وان ادراك العلماء للبنية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية للمجتمع الايراني لا تختلف اساساً عن تلك البنية للنخبة المدنية ذات القوة»(١١).

اما بعض الدارسين أمثال ألجار Algar فهناك الاسلوب الذي تبنوه بالنسبة للتاريخ الفكري للشيعة وهو «النظرة الليبرالية» Liberal، ان قضية دور العلماء ليست قضية سهلة بالنسبة لتاريخ الافكار، ورجل الدين قد اتى من طبقات اجتماعية خاصة.

وان آراءهم في بعض قضايا القانون وادوارهم كما تحددها مبادئهم في احكام الشريعة تشكل نوعاً من «المعرفة السياسية» او «الايديولوجية» التي لا يمكن دراستها بشكل مثمر الا من خلال سياقها الاجتماعي(١٢).

---

(٩) نورمان خلدر: بنية السلطة في أحكام الشريعة الإمامية(رسالة دكتوراه مدرسة الدراسات الشرقية والآفريقية(١٩٨٠)، انظر أيضاً كتاب روبرت برونشفيج Robert Brunshving: أصول الفقه الإمامي (بالفرنسية)(Les usul al figh imamites a lem stade ancien(xe et xie siedes وفي كتاب توفيق فهد: الشيعة الإمامية(بالفرنسية)(Le shi'isme im amite(paris:1970

(١٠) حميد ألجر Hamid Algn، الدين والدولة في إيران، ١٧٥٨ـ١٩٠٦: دور العلماء في فترة القاجار (بركلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٩، ص٢٢ـ٢٣ـ٩٩.

(١١) ويليم م. فلور، الشخصيات الثورية للعلماء، في كتاب تأليف نيكي ر. كيدي Nikki R.Keddie، محررالدين والسياسة في إيران، الشيعة منذ فترة الهدوء إلى الثورة(نيوهافن: مط. جامعة يال، ١٩٨٣)، ص ٧٣ـ٩٧.

(١٢) انظر ريتشارد أشكرافت Richard Ashcraft، النظرية السياسية والسلوك السياسي في فكر كارل مانهايم: إنطباعات عن الايديولوجية والمجتمع المثالي ونقادها في مجلة دراسات مقارنة، في المجتمع والتاريخ ع(٢٣) (١٩٨١): ص٢٣ـ٥٠.

ومن ناحية اخرى فان مثل هذه المعرفة لا يمكن ان تتحول الى اهتمام اقتصادي بسيط. واذا قمنا بتحليل المنظمات الدينية التي تكونها جماعة في المجتمع ما لنظر اعضائها وخلفياتهم ومقدار التوتر الذي يتواجد بين الجماعة وبين القيم السائدة في الدولة والمجتمع.

وهذا الاطار الناشىء من الاجتماع الديني وبما يصنف المنظمة الدينية «كطائفية» حيث هي في توتر كبير مع المجتمع في الداخل، وفي القرن العشرين كان التأثير الكبير على الحكومات الايرانية من قبل الامبرياليين الغربيين، ونشأة سلطة مدنية فيما بعد، مؤدياً الى ان يبتعد بعض الاعضاء الدينيين البارزين عن الدولة(١٣).

ان هذا الكتاب يركز على التطورات التي حدثت في المجتمع الشيعي في شمال الهند، وهي لم تدرس من قبل دراسة علمية في دور التشكل من عام ١٧٢٢ ـ ١٨٥٩.

وتاريخ الشيعة في أود فيه ثلاث فترات تاريخية، فالقرن الثامن عشر كان فترة تشوش سياسي في الشرق الاسلامي، لكن لم يجتذب الاهتمام نفسه الذي كان للامبريالية المغولية في اوجها.

وربما اهمل تاريخ أود، كظاهرة اقليمية، (فيما عدا الدارسين في جامعة لاكنو) وذلك لصالح التركيز على الاحداث في دلهي.

كذلك فإن الامامية الشيعية وهي دين الدولة، لم تدرس الا في نطاق ضيق في بيئتها الهندية، ومهما يكن من امر فإن دراسة لدور علمائها يمكن ان يفي بالتاريخ الهندي والشيعي.

وبالنظر الى حوالي ٢٥٠ من رجال الدين الشيعة في شمال الهند خلال ثلاثة اجيال، فانني اسهم في فهم التاريخ الاجتماعي للاقليم، ومع ذلك فهي دراسة أولية.

لقد ركزت الدراسات القليلة التي تمت (حول التاريخ الاقليمي لشمال الهند)، في فترة مبكرة من هذا القرن على فترات حكام أود.

ولكن هناك بعض الدراسات لباحثين في فترات احدث من ذلك، اي ليست ببعيدة، مثل دراسة (ت. ميتكالف T.Metcalf التي تفحص فيها اصحاب الاراضي، اما بارنيت Barnett فقد كتب عن الاداريين لدى الحكومة، وقد وصف بايلي Bayly الدور الذي لعبه التجار الهنود والمسلمين(١٤). وان تاريخ البنية الاسلامية الدينية الشيعية يمكن ان توضح التغيرات التي حدثت بالنسبة لفئة المسلمين المتوسطة والتي منها معظم الشخصيات الدينية.

---

(١٣) انظر كارل مانهايم: الإيديولوجية والمدينة الفاضلة، ترجمة ل. ويرث وإ. شيلز(نيويورك: شركة هاركوت، براس(١٩٣٦)، طبعة معادة ص١٠٩:
«عالم الإجتماع يجب أن يكون قادراً على أن يعمل شيئاً أفضل من نسب نشأة المشاكل وحلها الى وجوب بعض أشخاص ذوي مقدرة، وفي الصفحة ٢: إن البحث الرئيسي في اجتماع المعرفة هو وجود أنماط من التفكير لايمكن تفهمها طالما كانت أصولها الاجتماعية غامضة.

(١٤) انظر حول الفترة الحديثة كتاب آن. ك. س. لامبتون: العلماء الإيرانيون والإصلاح التكويني في كتاب فهد: الشيعة الإمامية (بالفرنسية) ص٢٤٩ـ٢٦٩، والدراسات الجيدة لشاهروخ آخافي Shahrough Akhafi، الدين والسياسة في إيران المعاصرة: العلاقات بين رجال الدين والدولة في الفترة البهلوية pahlavi، (الباني، مط. جامعة نيويورك، ١٩٨٠).

وقد شكل علماء الشيعة جماعة متميزة تفاعلت مع التغير الاجتماعي وذلك منذ نهضة أود كدولة مستقلة بعد المغول حتى نشأة الامبريالية الاوربية والرأسمالية الصناعية، وان الحاجة الى دراسة لمثل هذه الاقلية والتي هي حركات هامة كالشيعة في أود، اصبحت اليوم شيئاً ملموساً.

ولقد ركزت الدراسات التي اعدت حول الاسلام في الهند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على قادة الطريقة النقشبندية من المشايخ الصوفيين في دلهي مثل الشاه ولي الله، وابنه الشاه عبد العزيز، وتلميذ هذا الاخير وهو سيد احمد من راي باريلي Rai Bareli.

وقد اثرت الطريقة النقشبندية، بتأكيدها الكبير على الشرعية الصارمة وفي نصبها لحدود ما بين المسلمين السنة وغيرهم من المسلمين، في كل من الغربيين والمسلمين، باعتبارها كنذير للحركة الاصلاحية الاسلامية الحديثة والفرق الدينية.

على ان مثل هذه المعالجة تتجاهل مسألة تتعلق بالتعداد، فالنقشبنديين يشكلون أقلية بين مسلمي شمال الهند خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ولمن حتى لو كانت فئة قلية فإن تأثيرها سيكون فعالاً، وقد بحثت الدراسات الحديثة في هذا الموضوع(١٥)

كذلك فإن المضمون التقليدي للرياضة الصوفية النقشبندية والفكر النقشبندي مبالغ فيه، وقد بحث بعض الباحثين في التراث الاسلامي في شبه القارة، وتفحصوا في الحركات الدينية المحلية في مناطق غير دلهي، لا تتلاءم مع الطريقة النقشبندية، مثل مشايخ الصوفية من الطريقة الششتية في البنجاب، الى اصحاب الطريقة القادرية والعلماء في فرنجي محل في لاكنو، الى الاصلاحيين في مدارس ديوباند Deoband (١٦)

اما المصادر التي استخدمت في الدراسة التي يضمها هذا الكتاب حول تطور الشيعة في أود منذ ١٧٢٢ ـ ١٨٥٩، فلم يستخدم معظمها احد من المؤرخين الحديثين، وهي تشمل السير الذاتية ومعاجم التراجم لرجال الدين، وتاريخ المحاكم، والدراسات الشرعية والدينية التي اعدها العلماء، ومؤلفات الايرانيين والاوروبيين من الرحالة، كذلك هناك الوثائق الحكومية في أود التي بقيت بعد الحوادث من ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨، والسجلات الارشيفية البريطانية.

وقد كان اهم مصدر للمخطوطات اتيح لي الدخول اليه هو المكتبة الناصرية، وهو مركز شيعي في لاكنو لم يستخدكه الا القليل من الباحثين الحديثين.

وهذا الكتاب يركز على التغيرات في الممارسات الدينية والافكار والبنية الدينية، على انني زودت الكتاب ببعض الحكايات المعينة، نظراً لان مجال الدراسة غير مألوف ولان بعض المؤسسات الدينية تدرس لشكل اكثر فعالية لدى تطورها عبر مر الزمن، والدراسة مقسمة الى اربعة اجزاء، ففي الجزء الاول او القسم الاول بحثنا خلفية الشيعة الامامية ني الشرق الاوسط وجنوب آسيا بالاضافة الى نشأة الدولة الشيعية في أود.

وفي القسم الثاني استكشاف للاصول الاجتماعية للمجتمع الشيعي في شمال الهند

---

(١٥) س.ا.بابلي، الحكام، رجال المدن والتجارة: مجتمع شمال الهند في عصر التوسع البريطاني ١٧٧٠ـ١٨٧٩ (كامبردج.مط، جامعة كامبردج، ١٩٨٣)، وكتاب ريتشارد ب بارنيت، شمال الهند بين الامبراطوريات(بركلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٠)

(١٦) جريجوري شارلس كوزلوفسكي Gergory Charls Kazlowski وجد هذا الشخص في وثائق الوقف شاهداً جيداً، انظر كتابه: الأوقاف الإسلامية والمجتمع في الهند البريطانية (كامبردج،١٩٨٥)

ونمو الرياضات الدينية.

وفي القسم الثالث معالجة لنشأة الاصولية الشيعية في أود، وصراع فقهائها العقلانيين للحلول محل الاخباريين والصوفيين، وتطور المؤسسات الرسمية بدءاً من صلوات يوم الجمعة في عام ١٧٨٦، والذي بلغ أوجه بتأسيس مدرسة ونظام قضائي في الاربعينات من القرن التاسع عشر.

وهناك خلال الدراسة تحليل للتغيرات في آراء العلماء حول مبادىء احكام الشريعة وحول مكانهم في المجتمع.

وان الفصول في القسم (٣) تبحث في الرعاية حيث كان السادة الاشراف بالاشتراك مع دولة أود يهيئون الاموال للعلماء مقابل خدماتهم.

واخيراً فإن القسم (٤) يصف ويحلل العلاقة بين الشيعة وبين زعمائهم الدينيين والفئات الاخرى الرئيسية في أود. مثل السنة، الهندوس، والبريطانيين.

كذلك فإن هذا القسم يناقش جذور الحركة الطائفية في سهل الغانج في القرن التاسع عشر.

واخيراً فإن البريطانيين هم وراء الاحداث في هذه الدراسة، كذلك فإن تداخل البريطانيين في العلاقات بين الجماعات الدينية قد أدت الى حوادث العنف خلال القرن التاسع عشر والعشرين.

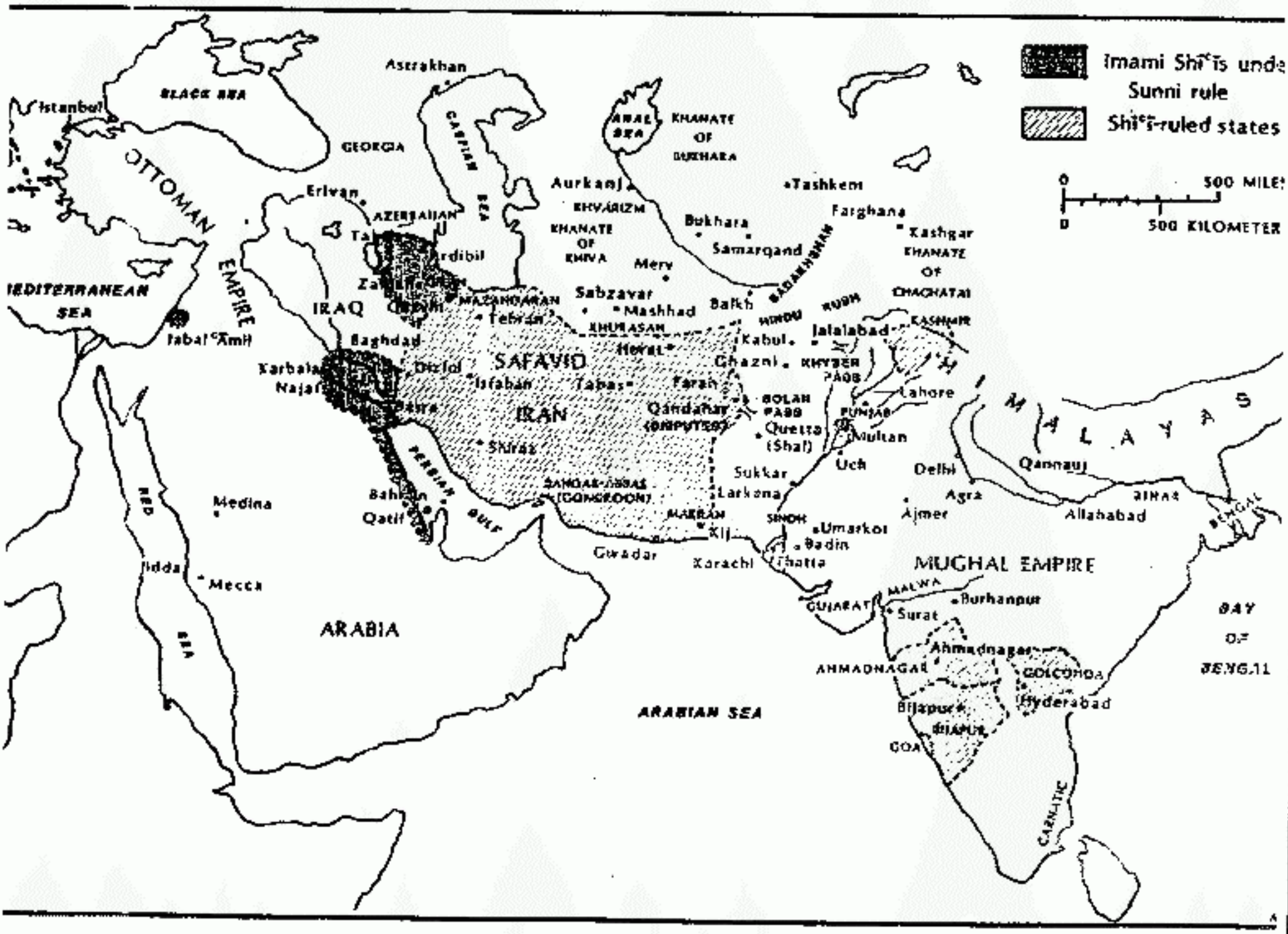

العالم الشيعي عام 1582 م

صلة شيعة أوَدْ بالشرق الأوسط

من اجل ان نتفهم مكانة الشيعة ودورهم في القرن الثامن عشر في كل من شمال الهند، وايران، والعراق، فلا بد لنا من دراسة تاريخ الشيعة، وفي سبيل توضيح دورهم في الصراع الثقافي بين المجتمعات الآسيوية والغرب الامبريالي، فان علينا ان نلقي الضوء على بعض الملامح العامة للتاريخ في الشرق الاوسط وجنوب آسيا منذ عام ١٥٠٠ م.

وعلى الرغم من ان معظم الاوربيين يعتقدون ان الفترة التي تلت عام ١٤٩٢ م كانت عصر توسّع مسيحي اوروبي فهم يركزون فقط على العالم الجديد، وعلى الامبراطوريات التجارية القائمة آنذاك للبرتغال واسبانيا، ثم ألمانيا، واخيراً فرنسا، وبريطانيا، ولو ان احدهم ركز بدلاً من ذلك على المجموعة الآفرو ـ آسيوية فانه سيندهش لنهضة الامبراطوريات الاسلامية.

وقد كانت قوة هذه الامبراطوريات ـ باستثناء العثمانيين ـ ترتكز في قوتهم على الاراضي ومع تجاهل المحيط التجاري مما كان يعرضهم للمخاطر.(١)

وكانت الامبراطورية العثمانية قد توسعت في الفترة من عام ١٥٠٠ الى ١٦٠٠ من أناضوليا حتى اوربا الشرقية، واستولت على سوريا (١٥١٦)، ومصر (١٥١٧)، والعراق (١٥٣٤).

وامتدت سيطرة الامبراطورية المغولية من كابول الى سهول الكانج ووحدت معظم مناطق شمالي الهند.

أما الامبراطورية الصفوية في آذربيجان فقد اخضعت المنطقة الايرانية، وكانت هذه الامبراطوريات تعتمد في قوتها العسكرية على ما تجلبه من مدفعية متقدمة من اوربا والصين، وقد كان هناك اتحاد قبلي في الاصل استبدله الحكام ببيروقراطيات وجيوش مستعدة وقد قدموا سلماً بالاسلام الى المناطق الجنوبية في العالم القديم مما شجّع التجارة والامان، وساعد على زيادة السكان في اناضوليا خلال القرن السادس عشر، وربما في اماكن اخرى واحرزت تقدماً اقتصادياً وتوسعاً في المناطق، كما تميزت بالنشاط الديني.(٢)

وقد عُرف العثمانيون باستانبول، والاصفهانيون، والمغول المسافرين بأبهتهم خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان غناهم يعتمد اساساً على الزراعة، وبشكل ثانوي على التجارة والصناعة.

واخذ حكامهم واصحاب الصناعة عندهم التكنولوجيا عن اوربا بدلاً من الابتكار، فلم يقدموا للعالم إلاّ القليل من التطور الصناعي وخاصة في صناعة الأسلحة.

وكانت اوربا في القرن الخامس عشر تنتج البضائع الجيدة كالانسجة الحريرية مثلاً، في حين ان الشرق الاوسط وجنوب آسيا كان يُرسل المواد الخام الى اوربا.

---

(١) انظر: ديتمار روثرموند Dietmar Rothermund (التجارة الآسيوية والتوسع الاوربي في عهد الاحتكار التجاري) (دلهي ١٩٨١)، وكتاب (التجارة والحضارة في المحيط الهندي)، كامبردج مط جامعة كامبردج ١٩٨٥.

(٢) مارشال، ج. س. هودجسون Hodgson: الاسلام The venture of islam المجلد ٣. روجر اوين Roger owen: الشرق الاوسط في الاقتصاد العالمي ١٨٠٠ ـ ١٩١٤ (لندن ١٩٨١) ص ١ ـ ٢٣.

وفي الوقت الذي تقدمت فيه الصناعة والزراعة في اوربا أواخر القرن الثامن عشر ، احرزت الامبراطوريات الاسلامية الثلاث في جنوب وجنوب شرق آسيا تقدماً سياسياً واقتصادياً بسبب الدافع الديني ، حيث شجع العثمانيون المذهب السني الحنفي في امبراطوريتهم وساعدوا بذلك على نمو مؤسسة دينية بيروقراطية .

أما الصفويون واتباعهم من الشيعة التركمان من اناضوليا فقد جعلوا من المذهب الشيعي الاثني عشري دين الدولة وفرضوه على السنة في ايران ، واحضروا من العراق وجنوب لبنان رجال الدين الشيعة من العرب ليوفروا العقول المسيّرة للمؤسسة الدينية كما اعتمدوا على العائلات الدينية الشهيرة في ايران ممن اعتنقت المذهب الشيعي .

أما المغوليون ـ وكانوا في الاصل من الشعوب المتحدثة بالتركية في وسط آسيا ـ فقد شجعوا المذهب الحنفي السني .

ولعب الفكر الديني وجماعة العلماء دوراً هاماً وسياسياً في كل من الامبراطوريات الاسلامية الثلاث ، على ان اقل هذه الايديولوجيات الدينية معرفة لنا هي الشيعة الاثني عشرية في كل من الامبراطوريات المذكورة ، ففي حكم العثمانيين عاش هؤلاء في الاراضي العربية الخاضعة في ذلك الحين للسيطرة العثمانية شكلاً دينياً يمكن ان نسميه طائفة ، أي انهم كانوا يمارسون احتكاكاً كبيراً بالدولة وبالأكثرية السنية في المجتمع من حولهم ، وكذلك فقد كانوا يتجنبون التطوير لمؤسساتهم الدينية .

وفي ايران كان الشيعة في الاصل مجتمعاً صغيراً إلا انهم شكلوا قسماً كبيراً من الايرانيين تحت حكم الصفويين حيث اسسوا مؤسسات دينية لهم وكانت تتعاون مع الدولة الشيعية ، وكانت الشيعة الصفوية المنظمة برجالاتها الدينية وبمناصرتها للسلطة تختلف اختلافاً كلياً عن العقيدة المحافظة في معظم المجتمعات الشيعية العربية .

وقد انتشر المذهب الشيعي في جنوب آسيا ، وعلى صعيدين :

الاول : بواسطة التجار الايرانيين والمهاجرين حيث شجعوه ونشروه بين اشهر الشخصيات في جنوبي الهند ، حتى ان الحكم الشيعي قد عم في بيجابور Bijapur وأحمد نكر Ahmad nagar وكولكنده Colconda .

الثاني : كان هناك حكم شيعي حكم لفترى وجيزة في كشمير خلال القرن السادس عشر ، وقد بنى التجار في المدن والريفيون في القرى شكلهم الخاص من التشيع الاثني عشري المرتكز على الشعائر الدينية المكرسة لذكرى استشهاد الامام الحسين عليه السلام . وقد طوقت زيادة القوة السنية للمغول في المناطق بجنوب الهند ، وحُرمت الشيعة في شمالي الهند من الحماية لهم من قبل الحكومة . وسرعان ما استوعبت الامبراطورية السنية المغولية المناطق التي يحكمها الشيعة في الجنوب ، وبذلك سحبت تأييد الفرع المنافس لها من الاسلام في شبه القارة .

الشيعة قديماً

بدأ الاجتهاد لدى الشيعة منذ القرن الثامن في الوقت الذي حدثت فيه خلافات حادة في داخل المجتمعات بين اصحاب الائمة ،[٣] وبالتدريج نمت هيئة من المحدثين الذين

---

(٣) كان الامام السادس جعفر الصادق قد ألح على اصحابه وشيعته لينشدوا الحكم العادل اكثر مما ينشده من الحكام أو القضاة غير الشيعيين ، انظر كتاب نورمان خلدر Norman Galder الموسوم (السلطة القضائية

حفظوا الأحاديث النبوية وكلام الائمة ودرس هؤلاء ايضاً الفكر القانوني الذي استخدمه الامام السادس جعفر الصادق (المتوفى عام ٧٦٥ م) .

وقد بيّن المستر روي موتاهيديه Roy Mottahedah أن العلماء لم يكونوا فقط من موظفي الدولة الدينيين الذين كانوا يعلمون القوانين الشرعية ، بل كان بينهم ايضاً باحثون بل بعض الهواة .(٤)

وعلى خلاف السنة فان علماء الشيعة غير مرتبطين بالسلطة ، وقد تحملوا الحكم العدائي للامويين حتى منتصف القرن الثامن عندما استلم العباسيون السلطة بفعل الثورة التي يشوبها تأثير شيعي ، ومع ذلك فقد رفض العباسيون الاعتراف بحق الأئمة في الحكم بل انهم عملوا على أسرهم وتقييد حركتهم بحجزهم في بيوتهم كمنافسين خطرين .

وان الحوادث التي تلت وفاة الامام الحادي عشر (الحسن العسكري) في العراق العباسية عام ٨٧٣ أو ٨٧٤ غامضة ، ولكنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتأريخ الشيعة ، فقد حدثت بعض الانشقاقات حيث ذهبت جماعة الى ان الامام العسكري لم يترك وريثاً ، وادّعى آخرون بأن الامام كان لديه ابن صغير اختفى بشكل خارق وسيعود يوماً ليعيد الى العالم العدل ، وظهر عدد من (الوكلاء) الذين كانوا الواسطة بين الامام الغائب وجمهور المؤمنين ، وبعد موت الوكيل الخاص الاخير وجد الشيعة انفسهم منقطعين عن اي سلطة دينية وفي نفس الوقت أخذ ينتشر قول منسوب للامام الثاني عشر الغائب ويفيد بأن هؤلاء الرجال الذين كانوا يروون أحاديث شفهية عن الائمة لهم نيابة هؤلاء الائمة .

ومن هنا فان المحدثين(٥) لأحاديث الائمة الشفهية كانوا يطالبون بزعامة المجتمع في غياب الامام ، ولقد جاءت نهاية سلالة الائمة كصدمة قوية للمجتمع الشيعي وشعر المفكرون من الشيعة الذين عاشوا بعد الغيبة بأنهم بلا زعامة ، وأحسوا بأنه في غياب الامام المعصوم لن يتمكن أحد من امامة الصلاة في الجمعة ، أو يتزعم المؤمنين في الحرب المقدسة (الجهاد) ، أو يجمع الزكاة (الخراج)(٦) وباختصار شعر هؤلاء بانعزالية عميقة ، واتبعوا سياسة هادئة بصفة عامة .

في القانون الشيعي الامامي) : «Judical Authority in imami shīʿī Jurisprudence» من منشورات الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية ، النشرة رقم (٦) ١٩٧٩ م ص ١٠٤ ـ ١٠٥
British Society for Middle Eastern studies Bulletin 6 1979: (104-5).

(٤) Roy Mottahedeh, Loyalty and Leadership inan Early Society (princeton: princeton Univ. press, 1980) pp.135-50.

الولاء والزعامة في المجتمع الاسلامي القديم .

Abdulaziz A.Sachedina, Islamic Messianism (Albany: State Univ. of NewYork press 1981), p.p.100- 1,107-8.

(٥) انظر «الخمس في التشريع الامامي الشيعي منذ القرن العاشر حتى السادس عشر» مجلة BSOAS العدد ٤٥ (١٩٨٢) : ٣٩ ـ ٤٧ .

(٦) رسالة الاسلام Islamic Messianism : ساشيدنا Sachedina الامامية والمعتزلة : Madelung ومادیلونج .pp.32-33 في محور ، توفيق فهد ، الشيعة الامامية ، باريس مط جامعة فرنسا ١٩٧٠ (ص ١٣ ـ ٢٩) .

مادیلونج : رسالة الشريف المرتضى حول شرعية العمل للحكومة ، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية Bulletin of the Oriental and African Studies مج ٤٣ (١٩٨٠) (ص ١٨ ـ ٣١) .

وفي العهد البويهي في العراق وايران (٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م) استطاع علماء الشيعة ان يجمعوا أحاديث النبي والائمة ودرسوها بحرية تامة ، وكانوا قد قصدوا بغداد من المراكز الشيعية القديمة في الكوفة وقم .

وفي بغداد أخذ بعض المثقفين أو المفكرين الشيعة يستخدمون الادوات العقلانية اليونانية في الفكر الشيعي ، على ان معظم الباحثين من الشيعة عارضوا العقلانية وذلك لصالح نقل اقوال الائمة باعتبارها مصادرهم الموثوق بها ، وفي هذه الفترة بدأ المفكرون الدينيون العقلانيون يُطلق عليهم اسم «الاصوليين» ، في حين ان اولئك المعارضين أطلق عليهم اسم «الاخباريين» وقد كان هؤلاء يشكلون الاغلبية العظمى ، ومن الجدير بالذكر انه في ذلك الحين أجمع معظم علماء الشيعة على بطلان تلك الادوات اليونانية العقلانية كالقياس في استنباط الاحكام الشرعية ، وتركز الخلاف على استعمالها في علم الدين Theology.(٧)

أما اولئك العقلانيون وبالرغم من انهم اعتبروا الحكومات الغير دينية حكومات جائرة فقد كانت لهم علاقات طيبة بالدولة البويهية . وكان العلماء الشيعة يشعرون بأنه ليس هناك اعتراض على العمل مع الدولة طالما أن مبادىء الانسان لا تتعرض للشبهة .(٨)

وقد ادى انتصار الاتراك السنة من السلاجقة على الشيعة البويهيين في منتصف القرن الحادي عشر الى تشتت علماء الشيعة لبعض الوقت ، ومع هذا فقد أخذ الشيعة تحت حكم السلاجقة يستعيدون مكانتهم ووضعوا تحت تصرف علمائهم ثروات جيدة من أجل المؤسسات الدينية ، وأدى الغزو المغولي لايران والعراق بعد ذلك بقرنين من الزمان الى تحرر الشيعة من القيود التي كانت مفروضة عليهم تحت حكم السلاجقة السني .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر أخذ بعض علماء الشيعة الاثرياء الذين كانوا في رعاية المغول وقد انهمكوا في المركز التجاري العراقي في الحلة ، أخذ هؤلاء يستخدمون الاساليب العقلانية اليونانية في التشريع لا في الدين فقط ، وقد عكس هذا حاجة المجتمعات الشيعية مثل تلك المتواجدة في الحلة في العصر المغولي ، الى تشريع أكثر مرونة ، ومنذ ذلك الحين اسس الأصوليون العقلانيون والاخباريون مدارس منافسة من القوانين .

وقد تركز الصراع بين الاخباريين والاصوليين العقلانيين على عدد من القضايا ، ومن ذلك ما يتعلق بمصادر التشريع التي حددها الاخباريون بالقرآن والحديث النبوي وأحاديث الائمة ، أما العقلانيين فكانوا يرون الاجماع في الرأي حول التشريع أو القوانين كمصدر آخر للحكم ، كما فعلوا بمسألة الاجتهاد ، أما الاصوليين فقد فصلوا الشيعة الى قسمين رئيسيين : المجتهدون والعلمانيون ، مع تعهدهم بأن المؤمنين العاديين يجب أن ينافسوا المجتهدين في القوانين الدينية الاضافية .

وأكد العقلانيون أن المجتهدين باعتبارهم ممثلين بصفة عامة للامام الغائب بأنه يمكنهم أن يقوموا مقامه وذلك بتقديم امور كالأحكام التشريعية وبجمع وتوزيع الزكاة والخمس

---

(٧) روجيه سافوري Roger Savory : ايران تحت الحكم الصفوي (كامبردج مطبعة جامعة كامبردج ١٩٨٠) . رفرخ جعفري : «تطور الشعائر الدينية والمسرح في ايران» سلسلة الدراسات الايرانية ١٧ (١٩٨٤) ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

(٨) كالدار Calder «الزكاة : ص ٤٧٧ وما بعدها ، الخمس : ص ٤٤ ـ ٤٧ ، سيدامير اجموند : ظل الله والامام الغائب ، شيكاغو مط جامعة شيكاغو ١٩٨٤ الفصل ٥ .

والالزام بالحرب الدينية المقدسة ، وامامة صلوات الجمعة .

وعلى الرغم من أن الاخباريين سمحوا برواية الأحاديث الشفوية عن الائمة من أجل أمور شرعية أو قضائية ، فانهم كانوا في كثير من الاحيان لا يسمحون ببعض أو بكل المهام الاخرى في غياب الامام المعصوم .

ايران الصفوية (الشيعة ، الدولة ، المجتمع)

لقد ازدهرت المدرسة الاصولية مرتبطة مع السلطة الحاكمة خلال الفترة الصفوية ، وفي عام ١٥٠١ م اصبح الشاه اسماعيل زعيم الطريقة للملة الصفوية الصوفية في ايران بدعم من رجال القبائل الناطقين باللغة التركية من الاناضول ، وقد فرض الحكام الجدد مذهب الشيعة الاثني عشرية على ايران معززين انتصارهم ، وطلبوا أن تبطل الطقوس التي تتم تبعاً للخلفاء السنة وحرقوا المساجد السنية ، وصادروا أراضي السنة ، وانتشرت الرياضات الشيعية الشعبية في ايران ، مثل عيد قتل القائد الاموي عمر بن سعد عدو الامام الحسين ، وبدأت تُعقد مجالس (روضة ـ خواني) لذكر حادثة كربلاء ، بالاضافة الى الحداد التام في شهر محرم .[٩]

ومنذ حكم الشاه طهماسب (١٥٣٣ ـ ١٥٧٦) وهو ثاني ملك صفوي ، بدأ عدد من علماء الشيعة العرب ـ الذين استقدمهم الصفويون من العراق وجنوب لبنان ـ بدأوا بإجراء بعض التغييرات في رياضات الشيعة الاثني عشرية وكان ذلك يعكس التغير في الحالة الدينية .

وذهب المهاجرون العرب أبعد من مدرسة الحلة ، أو الاعتراف البسيط للتشريع المستقل بالنسبة للقوانين ، فقد سمحوا بأداء المهام المركزية للدولة على أن يكون ذلك بواسطة شخص غير الامام ، واضعين انفسهم وكلاء للامام ، وجاعلين من النظام الشيعي الصفوي سلطة شرعية . ثم عمدوا الى ابتداع سلطة دينية شيعية ، معظم أفرادها من العرب وقد بنيت على زعيم أو امام الصلاة لدى الشيعة وشيخ الاسلام .

واصبحت الاصولية الصفوية هي الأفكار الايديولوجية لدى علماء العرب الموجودين في ايران او الذين نزحوا اليها ، والذين كانوا يميلون الى نقل وتنفيذ رؤية جديدة للشيعة الامامية بالتعاون مع الامارة الصفوية ، أي تحقيق شيعة اثني عشرية اكثر فاعلية وقوة من السابق اي قبل ١٥٠٠ .[١٠]

وكان ابرز شخص بين هؤلاء المجددين هو الشيخ علي الكركي (ت ١٥٣٤) وأصله من جبل عامل ،[١١] وفي السنة الاولى من حكم الشاه طهماسب أمر الشيخ الكركي بتعيين زعيم أو امام شيعي للصلاة في كل مدينة وقرية وأمر بوجوب اقامة صلاة الجمعة بعد ان كانت غير معمول بها لدى الشيعة في ظل الحكم السني . وافتى الكركي بجمع ضرائب الاراضي (الخراج) في غياب الامام ، ودون تعليمات لجامعي الضريبة الصفوية ، وبهذا فتح مصدراً لدخل حكومي للدولة الاثني عشرية القليلة الخبرة ، وأمر الشيعة بنبذ التقية وعدم اخفاء

---

(٩) الحر العاملي : امل الآمل ، تحقيق : السيد احمد الحسيني طبع في مجلدين بغداد مكتبة الاندلس ١٩٦٦ الاول ص ١٢١ ـ ١٢٢ . يوسف البحراني : لؤلؤة البحرين النجف ١٩٦٦ ص ١٥١ ـ ١٥٤ . ارجموند : ظل الله والامام الغائب ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(١٠) لؤلؤة البحرين / ١٥٩ ـ ١٦٦ ، روضات الجنات ١/ ٢٥ ـ ٢٩ طهران ١٩٧٠ .

(١١) امين بناني «انطباعات حول البنيان الاجتماعي والاقتصادي لايران الصفوية» في سلسلة دراسات ايرانية ، ١١ (١٩٧٨) : ص ٩٥ ـ ٩٦ .

عقيدتهم أمام السنة طالما أصبح لديهم الآن حماية من قبل الحكومة .

ولقد عارض فريقان هذه الافكار الجديدة ، وقد كان ارجموند Arjomond قد بين أنه في ايران استاءت الأسر الايرانية القديمة المسؤولة عن المؤسسات الدينية مثل القضاة وغيرهم الذين اعتنقوا المذهب الشيعي ، هؤلاء استاءوا من رجال الدين الذين نزحوا الى ايران ، كذلك: فقد وجد رجال الشيعة في العالم العربي كثيراً من الافكار الجديدة للكركي غير ملائمة لحالتهم الخاصة ومن ابرز اولئك الرجال الشيخ ابراهيم القطيفي[١٢] الذي عارض شرعية اقامة صلوات الجمعة خلال غياب الامام ، وجمع الخراج والمشاركة مع الحكام ، والقطيفي ممن كان يؤيد الاصولية المحافظة التي لا تثير اضطهاد السنة للشيعة والتي تظل ملتصقة بالثقافة السياسية المحافظة للاقلية الشيعية .

وبعد عام ١٥٣٠ اجتاح الاتراك السنة العراق ، بما في ذلك المدن المقدسة للشيعة مثل كربلاء والنجف حيث كان القطيفي وكثير من الشيعة .

وفي ايران اكتسب المجتهدون قوة اكبر من خلال اشرافهم على ثروات دينية في القرن السابع عشر ، ومن خلال المنح التي وُهبت لهم من اقطاعيات من قبل الحكام الصفويين ،[١٣] واصبحت (اصفهان) عاصمة الصفويين قبلة انظار الشيعة وهي مركز للتعليم يضم ٤٨ كلية و ١٦٢ مسجداً ، وحيث المقر الرئيسي لادارة دفة الحكم واصدار الفتاوى الهامة .[١٤]

واصبح رجال الدين من القوة بحيث أن بعضهم كانوا يدعو لئن يكون الحاكم مجتهداً أو رجل تشريع قادر على استنباط الاحكام الشرعية من مضانها ، في نفس الوقت الذي دعم فيه الشيعة المسيطرون شرعية السلطة الصفوية ضد مدعي الدين .[١]

ونتيجة لهذه السلطة الواسعة التي تمتع بها رجل الدين خلال الحكم الصفوي فقد ظهر الكثير من المدّعين والنفعيين والوصوليين الذين اتخذوا من الدين مطية لارضاء نزواتهم الدنيوية حتى شُوهت صورة رجل الدين الى الدرجة التي يُعبر عنها أحد الامثال الشعبية الدارجة من اصفهان ويعود الى القرن السابع عشر : «تطلّع بعين الحذر الى امرأة امامك ، وعلى أحد البغال خلفك ، وتطلع بكل حواسك والى كل اتجاه وأنت تواجه ـ الملا ـ» .[٥]

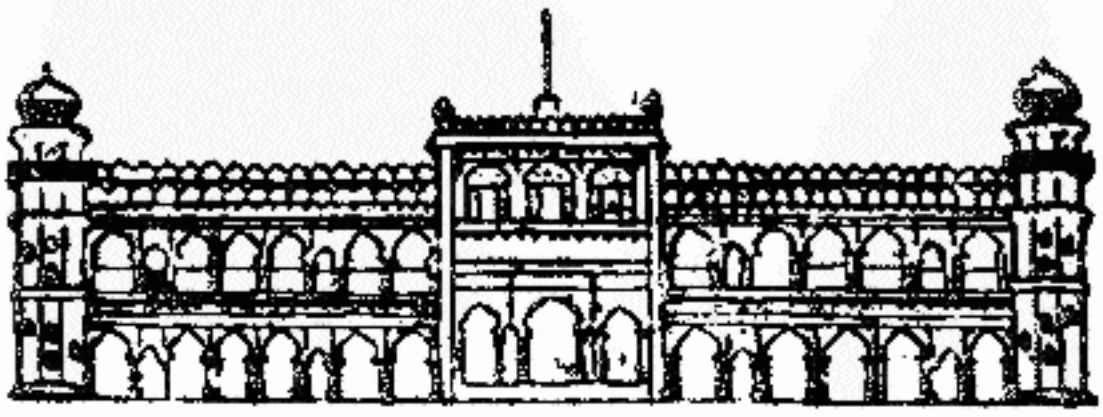

(١٢) جون شاردين John Chardin : رحلات السيد شاردين في ايران وغيرها من بلاد الشرق ، ٣ مجلدات ، (امستردام : جين لويس دي لورم ، ١٧٠٩) الثالث ص ٨٢ .

(١٣) المرجع السابق ، (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨) .

(١٤) المرجع السابق ٣/ ٢٠٨ .

المعارضة الإخبارية

وقد أتت المعارضة الرئيسية للمدرسة الأصولية من الحركة الإحيائية للإخباريين، فقد كانت الاخبارية، ترفض شرعية القوانين المستقلة وتنكر الحاجة الى الاشخاص العلمانيين لكي ينافسوا المجتهدين، وقد هاجم احد الشخصيات الفكرية البارزة في مجال احياء هذا التكوين البنيوي الصارم للشيعية وهو السيد محمد أمين الاسترابادي (توفي ١٦٢٤) المجتهدين من مركزه في المدينة[١] . وقد لقيت حركة الاسترابادي الاصلاحية تأييداً كبيراً في الاماكن المقدسة في العراق، وكما أشار أرجموند Arjomand، في ايران بين الشخصيات الدينية الرسمية.

ورغم ان الاصولية قد سيطرت في عاصمة الصفويين (اصفهان)، الا ان الوضع خارج اصفهان في اواخر القرن السابع عشر من الصعب عرضه.

وقد ظل للاخباريين في بعض المراكز سلطة او نفوذ، وقد ضويق السيد محمد طاهر وهو من الاخباريين الذين نشأوا في النجف وهو إمام الجمعة وشيخ الاسلام في قم تحت حكم (سليمان شاه) ١٦٦٧ ـ ١٦٩٤، عندما دعا الملك الى اصلاح اخلاقه.

وقد هاجر (الحر العاملي) (المتوفي ١٧٠٨ أو ١٧٠٩) من سوريا الى مشهد، واصبح شيخ الاسلام. ولما كان اخبارياً صامداً فقد منع استخدام الجدل وكتب ضد المذهب العقلي Rationalism وقد استقرت اسرة نعمة الله الجزائري الاخباري (توفي عام ١٧٠١)، في مدينة شوشتر Shushtar وهي مدينة ايرانية صغيرة في خوزستان، كزعماء أو ائمة لصلاة الاخباريين[٢] ، وقد كانت المنطقة الواقعة في جنوب غرب ايران مركزا رئيسيا للاخبارية، وكما سبق ان اشرنا فإن المدرسة الاخبارية قد لقيت قبولاً واستحساناً من معظم العلماء في المدن المقدسة في العراق ايضاً.

وان الاجتياح الصفوي لايران ونشر الشيعية الاثنى عشرية يصور الثورة الثقافية في العالم الاسلامي لقرون عديدة، وان الاتراك العثمانيين او المغول التيموريين لم يفعلوا شيئاً لتغيير عقائد الشعوب التي حكموها، وان نشأة الشيعة الاثنى عشرية تشابه حركة الاصلاح البروتستانتية في أوربا.

الولايات الشيعية في الدكن

لقد ربطت التجارة الهندية في المحيط الهندي، الخليج الفارسي بجنوبي الهند، وشجعت نزوح الناس والافكار بين المنطقتين، وقد تدفق اشخاص يارزون من ايران

---

(١) الحر العاملي، امل الآمل الثاني ص٢٤٦، والخوانساري، روضة الجنات الاول ص١٢٠ ـ ١٣٩.
المذهب العقلي، وهو القول بأن العقل، غير مسعف بالوحي الالهي، هو الهادي الاوحد الى الحقيقة الدينية.

(٢) انظر بصدد (محمد طاهر): الخوانساري: روضات الجنات الرابع ص١٤٣ ـ ١٤٦، وانظر بصدد الحر العاملي: الخوانساري: روضات الجنات السابع ص٩٦ ـ ١٠٥. وأيضاً سيد اعجاز حسين الكنتوري Sayyid Ijaz Husayn Kinturi في كتاب: كشف الحجب والاستار عن الكتب والاسرار، تحقيق محمد هداية حسين (كلكتا: الجمعية الآسيوية، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢.

واداريون وعسكريون وادباء الى جنوب الهند او الى الدكن خلال الاجتياح المغولي لايران في القرن الثالث عشر وبعده وقد اتبع هؤلاء الايرانيون خاصة بعد انتصار الصفويين المذهب الشيعي، واصبح جنوب الهند دبلوماسياً وبثقافته الممتازة تابعاً لايران في القرن السادس عشر، ولقد حمل الاشخاص البارزون من الايرانيين من اقتناعهم بالشيعة الاصولية، وهيئوا المساجد لصلوات الجمعة وللمؤسسات الشيعية الاثنى عشرية الاصولية.

وقد بدأت اطول دولة في الحكم الشيعي في جنوب الهند وهي القطب شاهية (١٥١٢ ـ ١٦٨٧) بالنهضة السياسية في كولكنده Golconda، بأحد المغامرين من التركمان من همدان بإيران ويدعى السلطان قلى قطب الدين، وقد رعى الحكام الذين كانوا منسجمين معه العلماء الشيعة وبنوا المساجد والحسينيات (عاشورخانه) ومن أجل احياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عقدوا الحلقات وبنوا مدافن الشيعة، وكانت خطب الجمعة تُلقى باسم الائمة الاثنى عشريين وباسم الصفويين.

وقد نزح الايرانيون باعداد كبيرة، وكثير منهم كتجار تجذبهم تجارة المجوهرات، والبعض الآخر جذبتهم الشيعية فاتبعوها، وقد هيمن علماء الاثنى عشريون من المدرسة الاصولية على كولكنده، وفي عام ١٦٣٦ أجبر الامبراطور شاه جهان، القطب شاهيين على الاقلال من الصيغ الشيعية في مواعظ وخطب صلوات الجمع، بما فيها ذكر الصفويين، وفي عام ١٦٨٧ سقطت العاصمة حيدر آباد في الحكم المغولي السني الذي قضى على حكم الشيعة القطب شاهيين[٣] .

ويتمثل دور العلماء المهاجرين الشيعة الذين نزحوا من ايران في نشر الافكار الاثنى عشرية بالقرن السادس عشر في جنوبي الهند بالشاه طاهر اسماعيلي.

وكان الشاه ينحدر من اسرة اسماعيلية في ايران وقد اصبح من الاثنى عشرية ثم نزح فيما بعد لاسباب سياسية الى الارض الواقعة تحت سيطرة برهان نظام شاه (١٥٠٨ ـ ١٥٥٣)، في أحمد نكر، جنوبي الهند، وهناك أقنع الملك ان يصبح من الشيعة الاثنى عشرية وان يكون هو وزيراً في عهده، وقد ظلت الشيعية ذات سلطة في ثقافة النخبة لمدة اجيال تالية. على ان شاهات أحمد نكر قد فقدوا استقلالهم عندما طلب منهم اكبر ان يدفعوا الجزية، واستولى شاه جهان رسمياً على المنطقة وضمها الى الامبراطورية المغولية في عام ١٦٣٣.

وقد جربت المملكة الجنوبية الغربية من الدكن وهي بيجابور Bijapur الحكم الشيعي والتأثير الايراني في القرن السادس عشر، ١٥٠٢ ـ ١٥٣٤، ومن ١٥٥٨ ـ ١٥٨٣، تحت حكم عادل شاهي السلسلة «العادل شاهية».

وقام التجار من الشيعة الايرانيين بتجارة الخيل من الخليج الفارسي حتى بيجابور، واصبح للشيعة مركز كبير هناك.

وقد اعلن يوسف عادل شاه (١٤٨٩ ـ ١٥١٠) وهو تركي منفي له ارتباط باسماعيل الصفوي، الشيعية كدين للدولة في بيجابور في عام (١٥٠٢)، وذلك لدى سماعه بالنصر الصفوي، وقد شجع هذا على نزوح عدد اكبر من الايرانيين، واستخدم اتباع عادل شاه هؤلاء الايرانيين كرجال ادارة او كعسكريين.

وقد اعترف اتباع عادل شاه بالصفويين وسيادتهم المطلقة رغم ان هذا الاعتراف كان

---

(٣) محمد قاسم فرشته (تاريخ فرشته): تاريخ الاسلام في الهند.

رسمياً فقط، ولقد كان علماء الشيعة في صراع دائم مع السنة ومنهم زعماء محليون من الصفويين، لكن الثقافة السنية المحلية اخذت تعود الى القوة منذ عام ١٥٨٣، حيث الزم الامبراطور «شاه جهان» اهل بيجابور بدفع الجزية اليه منذ عام ١٦٣٦، وقد ضم اورنك زيب Awrangzit بيجابور الى الامبراطورية المغولية في عام ١٦٨٦[٤].

ورغم ان القرن السادس عشر يمكن ان يطلق عليه اسم قرن الاثنى عشرية في التاريخ الثقافي للهند الايراني، فإن الشيعة احرزوا نصراً محدوداً ومؤقتاً خارج ايران، ولم ينجح الشيعة من الحكام في جعل عقيدتهم ديناً جماعياً، بواسطة الانفاق بسخاء على المؤسسات الاثنى عشرية. ومع ذلك فإن سكان جنوبي الهند كانوا متعلقين بدياناتهم الهندوسية وقد عاندت كثير من العائلات السنية المعروفة النداء او الدعوة لشتم او لعن الخلفاء، اما الحكام الشيعة من الدكن فقد ظلوا معزولين عن الجماعات الدرافيدية الهندوسية، بميولهم الايرانية وقابليتهم لتسيير الأثمة باللغة الأردية الجديدة.

وما لبث اباطرة المغول التموريين ان خففوا بالتدريج المناطق الشيعية في الجنوب فأصبحت تابعة للامبراطور السني، ثم أخيراً استبعدوا الملوك الشيعة.

الشيعة في شمالي الهند تحت حكم المغول

كان الشيعة في شمالي الهند تحت حكم المغول، احياناً يتحملون لكن البعض الاخر كان يتبرم بشدة، وقد تركوا بضع آثار في الاحداث التي مرت، اكثر مما كان لهم تأثير في الجنوب.

وان اهمية النازحين من ايران في نشر الشيعية الاثنى عشرية بالاسلوب الصفوي لا تقبل الجدل، رغم انه من الصعوبة بمكان تتبعها فيما عدا الطبقة العمالية في المجتمع.

وقد كان في ديانات شمالي الهند، خاصة في كشمير، عدداً اكبر من الشيعة مما في المناطق الاخرى، وقد استخدمت الطبقات الشيعية اساليب مبتكرة في الحزن على آل البيت المظلومين، على الرغم من ان المغول كانوا في بعض الاحيان يقمعون مثل هذه المظاهر.

وبدأ الحكم المغولي او التيموري بحاكم يدعى بابر Babur (توفي عام ١٥٣٠)، وهو تركي من Chaghati، كان يريد في الاصل تأسيس دولة له في موطنه باسيا الوسطى، ولكن لما سد عليه الاوزبك المجال في آسيا الوسطى، اسس لنفسه دولة في كابول وغزا الهند من قاعدته في افغانستان، اما ابنه همايون Humāyun فقد طرد من الهند من قبل حكام الافغان، والتجأ الى ايران الصفوية، وهناك ساعده الصفويون في اعادة تأسيس دولته الهندية، مقابل ثمن هو التظاهر باعتناق المذهب الشيعي، الذي لم يكن يظهر له اي حماس حقيقي، واستولى همايون على الاراضي ولو كان قد اعتنق المذهب الشيعي بالفعل لفعل الكثير من اجل نشر هذا المذهب في شمالي الهند.

لكن ابن همايون المدعو اكبر Akbar (١٥٥٦ ـ ١٦٠٥) جعل الامبراطورية المغولية على

---

(٤) فرشته، تاريخ، الثالث من ص٣ ـ ١٨٨، م.أ.نعيم: العلاقات الخارجية لمملكة بيجابور (١٤٨٩ ـ ١٦٨٦ م)، حيدر اباد، ١٩٧٤، ص٥٢ ـ ٧٢، ريتشارد ماكسويل إيتون: صوفيون في بيجابور، ١٣٠٠ ـ ١٧٠٠: الدور الاجتماعي للصوفيين في الهند في العصر الوسيط (برنستون، ١٩٧٨). ص٦٤ ـ ٧٠، ص١١٤ ـ ١٢٤، وكتاب: الشيعة في الهند ص١١٢ ـ ١١٧، تأليف هوللبستر.

قدم ثابتة وذلك بالتحالف مع المناطق الهندوسية المحلية وباتباع ديانة لا تتعارض مع ما يحيط بها، من ابتداعه الخاص وكانت هذه الديانة تجمع بين مبادىء كل من الاسلام، الهندوسية، والزرادشتية.

وقد كان (اكبر) يحمل مذهب الشيعة الاثنى عشرية، لكنه لم يكن يشجعه، وقد عين نور الله شوشترى وهو رجل دين شيعي من ايران، وقاضي في لاهور.

وقد كان تأييد المذهب الشيعي في الهند المغولية يتغير تبعاً للعلاقات مع ايران، وادى التحالف المغولي الصفوي في القرن السادس عشر، الى خلافات او نزاعات فيما بعد في القرن السابع عشر حول (قندهار)، وادى الى قيود على الشيعة في الهند(٥) . على ان المثل الوحيد على اتباع المذهب الشيعي في شمالي الهند، كان في كشمير، حيث أتت أسرة (شاك) Chak الشيعية (١٥٦١ ـ ١٥٨٩) الى الحكم.

وقد اتت الشيعية من ايران الى كشمير واعتنقها بعض السادة وجماعة (شاك). كذلك فقد اتى اعضاء من الطريقة الصوفية النور بخشية الى كشمير من ايران في السنوات السابقة للإمتداد الصفوي لاذربيجان.

وبنشأة او نمو القوة الشيعية في ايران اصبح النور بخشيون من الشيعة، اثنى عشريون، وتسبب هذا الحكم في بعض الاصطدامات بين السنة والشيعة في كشمير.

واستمر عدد قليل من الشيعة في التواجد في كشمير نظراً لهذا الصراع بين السنة والشيعة، لكن النفوذ الشيعي استمر في الجهاز العسكري لكشمير(٦) .

ولقد كتب الرحالة الاوروبي (مانوسي) Manucci ان (اكبر) بدأ سياسة متعمدة في استقبال الايرانيين من الشيعة الذين هربوا من النفوذ الصفوي الى الهند، وقال ان اكبر واتباعه قدّموا لهؤلاء اللاجئين مناصب رسمية، وارسلوهم الى مقاطعة كشمير حيث عاشوا حياة مريحة، وعندما كان احد هؤلاء يموت كان راتبه يوزع على الباقين بدلا من اعادته الى الحكومة.

وقد وضع في النهاية اورنك زيب Awrangzib حدا لهذا الميراث(٧) .

ولما كانت كشمير قد حُكمت من قبل اسرة شاك Shak الشيعية وفيها عدد كبير من الشيعة، فقد كانت مكاناً مناسباً يرسل اليه المغول الايرانيون من اللاجئين الذين كانوا يأملون ان يستفيدوا منهم من الناحية السياسية، وقد ساعد ثراء وقوة هذه الطبقة الحاكمة الشيعية على الانتشار في كشمير وفي منطقة النبجاب المجاورة.

وقد كتب (Rizvi) نقلاً عن احد الرحالة في آسيا يتحدث عن محرم في لاهور حوالي عام (١٦٣٥)، ويقول ان الايام الخمسة الاولى كانت للاحتفال بالايام السعيدة في حياة الأئمة، وكان المغنون والمغنيات يقدمون اغاني كثيرة، ومنذ اليوم السادس حتى العاشر من شهر محرم يعلن الحداد والحزن ويتم لعن اعداء الائمة، وفي اليوم العاشر نفسه كان الشيعة يمكثون هم والهندوس في البيت، ولكن كانت هناك صدامات بين السنة

---

(٥) رياض الاسلام: العلاقات الهندية ـ الفارسية: دراسة في العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الامبراطورية المغولية وايران (طهران: مؤسسة الثقافة الايرانية، ١٩٧٠).

(٦) فرشته، تاريخ، الرابع ص٤٤٤ ـ ٤٥٠، ص٥٠٨ ـ ٥٣٠، هوليستر: الشيعة في الهند، ص١٤١ ـ ١٥٠.

(٧) محمد بن أمير والي: بحر الاسرار في مناقب الاخبار، نقل في كتاب لـ س. أ. أ. رضوي Rizvi: الشاه ولي الله وايامه (كانبيرا، معرفة، ١٩٨٠) ص١٩١.

والشيعة[٨] .

اما الرحالة الفرنسي تافرنيه Tavernier فقد اشار الى النبلاء الايرانيين والعسكريين الذين كانوا في خدمة المغول السنة، وقارن اعدادهم بأعداد اولئك المتواجدين في بيجابور، والذين حكموا من قبل الشيعة، وكتب عن اولئك الايرانيين قائلاً:

«الحقيقة انهم رغم نظرتهم الى السنيين بالهلع ومع ذلك فقد اتبعوا دين الملك معتقدين بأنهم ان كانوا يريدون المحافظة على اموالهم فيجب عليهم اخفاء عقيدتهم الحقيقية، وبأنه يكفي بالنسبة لهم ان يحتفظوا بها في قلوبهم... ورغم ان اورنك زيب Awrangzib كان لديه عدد كبير من الايرانيين في خدمته الا انه لم يسمح لهم بالاحتفال بالحسن والحسين ابناء الامام علي[٩] .

وتحدث رحالون آخرون في اواخر القرن السابع عشر ايضاً عن وجود احتفالات او ذكرى الامام الحسين في شمالي الهند ومنع اورنك زيب في شمالي الهند مثل هذه الاحتفالات[١٠] .

وفي عام ١٦٦٨ منع مثل هذه الاحتفالات او المراسيم التي كان الناس اثناءها يعرضون بعض الاخشاب المزخرفة او نسخ مطابقة من شجر البامبو من قبر الامام، يعرضون هذه الاشياء على الارض، وانتشرت هذه العادة في برهان يور[١١] .

ولم يذهب الى الهند من ايران فقط الاشخاص العسكريون او اللاجئون السياسيون، بل على الاقل كان هناك اثنان من كل عائلة دينية في اصفهان في القرن السابع عشر، كأسرة المجلس التي نزحت الى الهند تحت حكم اورانك زيب، وبرز حفيد لمحمد تقي المجلسي، آغا محمد سعيد مازندراني كشاعر مفضل للبلاط في دلهي، واسمه في الكتابة «أشرف»[١٢] ، اما شقيقه ويدعى آغا حسن علي فقد تبع خطاه، فقد كان على ابناء علماء الشيعة، ان ارادوا النجاح من الناحية الاجتماعية في الجو السني القوي للبلاط المغولي، كان عليهم ان يركزوا على النجاح في المجال الادبي او الطبي.

ومن هنا فقد كان للشيعة دور في تاريخ الهند المغولية في القرن السادس عشر والسابع عشر، حيث انتشر الشيعة الى حد كبير خاصة بين الشعب العادي من ايران او عن طريق التجار الايرانيين الذين قدموا من ايران.

وقد عارض معظم الشيعة في شمالي الهند من الاخباريين، في اقامة صلوات الجمع في غياب الامام الاثنى عشري، واتبع قسم كبير في مولتان Multan والسند Sindh، الشيعة الاثنى عشرية بعد عام ١٥٠٠، وادت السيطرة السنية الافغانية في القرن الثامن عشر لهذه

---

(٨) نيكولاو مانوسي: قصة المغول او الهند المغولية من ١٦٥٣ ـ ١٧٠٨، ترجمة وليام ايرفين، ٤ مجلدات (لندن: جون موراي، ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨) الثاني ص١٦ .

(٩) جان بابتيست تافرنيه: رحلات في الهند، ترجمة ف. بال، مجلدان، (لندن: ماكميلان، ١٨٨٩)، الثاني ص١٧٦ ـ١٧٧ .

(١٠) جون فراير: تاريخ شرق الهند وايران، في تسع سنوات من الرحلات من عام ١٧٧٢ ـ ١٦٨١ تحقيق وليام كروك، ٣ مجلدات (لندن: هاكلويت ١٩٠٩ ـ ١٩١٥) الاول ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(١١) محمد هاشم خافي خان [منتخب اللباب] تاريخ Alamgir، ترجمة س. معين الحق (كراتشي: جمعية باكستان التاريخية، ١٧٥) الصفحات من ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(١٢) انظر غلام علي آزاد بلكرامي: مآثر الكرام، مجلد (٢)، (لاهور، مطبعة دكني رفاعي امام، ١٩١٣ .

المناطق، وفي كشمير الى هجرة كثير من الشيعة باتجاه الجنوب نحو دلهي أو أود، وفي اواخر القرن السابع بعد قهر اورانك زيب للحكم الشيعي في حيدر اباد، اتجه الشيعة في الدكن باتجاه الشمال للالتحاق بخدمة المغول ناشرين طقوسهم في دلهي[١٣] .

التحولات السياسية في القرن الثامن عشر وتاثيرها على الشيعة

انتشرت في القرن الثامن عشر ثلاثة امبراطوريات اسلامية في كل من جنوبي وغربي اسيا وشمال افريقيا، لكن هذه الامبراطوريات عانت من التحولات السياسية سواء في الداخل او في الخارج.

فقد كانت هناك ثورات من قبل جماعات او قبائل محلية ومن الفلاحين ممن كانوا يعانون من الضرائب الكبيرة المفروضة عليهم، وهذه الثورات قامت ضد الامبراطوريات المتمركزة والجيوش التي تحالفها، مما ادى الى انهيار البيروقراطية في صالح القوة القبلية التي تستند الى حرب المقاومة وحرب العصابات.

وكما سنبين فيما بعد، فإن الامبراطورية المغولية انهارت في المركز وظهرت مقاطعات اقليمية، ولما انقضى هذا القرن اخذ التأثير السياسي لشركة الهند الشرقية البريطانية يزداد بشكل هائل حتى انها اخذت البنغال وغيرها من المناطق.

لقد سقط الصفويون أمام جيوش القبائل السنية الغازية في عام ١٧٢٢، واصبح الخليج الفارسي بالتدريج بحيرة بريطانية، ولم يصمد من الامبراطوريات الاسلامية الثلاث الا العثمانيون وربما كان السبب يعود الى ان القوى الاوروبية لم تكن قد اتفقت فيما بينها بعد على كيفية اقتسام هذه الامبراطورية، كذلك فقد عانى العثمانيون من انهيار سلطتهم على قسم كبير من الامبراطورية كالعراق ومصر وذلك بعد ظهور قوة المماليك، وقد اثرت هذه التغيرات السياسية والاقتصادية بشدة على الشيعة الامامية بحيث اعجزت المؤسسات الدينية في ايران لعشرات السنين، واعطت استقلالا اكبر للمدن الشيعية المقدسة في جنوبي العراق تحت حكم المماليك الضعيف، ووفرت بهذا الفرصة لحكام الشيعة في البنغال وأود، للاستقلال الاقليمي عن المغول في الهند.

كذلك فإن نمو الايديولوجية الشيعية في العراق وايران كان له تأثير مصيري على الشيعة في شمالي الهند فيما بعد القرن الثامن عشر.

وقد ترأس الشاه سلطان حسين(١٦٩٤ ـ ١٧٢٢) بعد افول نجم الامبراطورية الصفوية، وكانت سياسة هذا الشاه مؤدية الى الضعف، ولم يكن يتخذ اجراءات حازمة الا فيما يتعلق بالامور الدينية، فقد اعطى حرية كاملة للتعصب الاعمى لبعض رجال الدين مثل شيخ الاسلام محمد باقر مجلسي (توفي ١٦٩٩).

وأمر آخر الصفويين بالتحول الديني لليهود والزرادشتيين، وامر بطرد آلاف من التجار الهندوس من اصفهان، واضطهد بعض الجماعات السنية مثل الاكراد.

وأدت التغيرات في الادارة واهمال الجيش الى جعل ايران عرضة لغزوات من قبل

---

(١٣) رضوي: شاه ولي الله وعصره، ص١٩٠ ـ ١٩٥.

البلوش Baluchi، ولغارات من قبل قبائل Ghilzay الافغانية التي استولت على قندهار في عام ١٧٠٩، واستولى جيش افغاني مؤلف من عشرين الفاً من الجنود على كرمان Kirman في عام ١٧٢١ واتجهوا بعد ذلك نحو اصفهان التي سقطت بعد حصار طويل بيد هذه القبائل في عام ١٧٢٢، وبدأت ايران ايضاً تشعر بالضغط العسكري من روسيا في عهد بيتر العظيم Peter، ومن الاتراك العثمانيين.

ووجد طهماسب الثاني Tahmasp II وهو طموح للمُلك الذي احتله الافغان، وجد في شخص يدعى نادر افشار Nadir Afshar سنداً له لدعمه، ولكن لما هزم نادر الافغانيين استولى على العرش لنفسه في عام ١٧٣٦، ثم حاول الجمع بين القبائل بواسطة حلف وتصالح فيما بينها، وما لبث (نادر) ان غزا ايران مرتين، الاولى في عام ١٧٣٠، والثانية في عام ١٧٤٠ وواجه دفاعاً من قبل العثمانيين في المرتين، وفي اواخر عام ١٧٣٠ قاد حملة كبيرة على الهند حيث استولى على لاهور ودلهي وجعل الامبراطورية المغولية ذليلة له فترة من الزمن، لكن الشقاقات القبلية من الافغان السنة والقزلباش Qizilbash الشيعة اللذين كان يتألف منهما جيشه، ادى الى اغتياله فيما بعد، وذلك في عام ١٧٤٧ فانقسمت الاقاليم التي كانت من قبل تابعة لايران الصفوية، وما لبث ان ظهر الزنديون Zands منتصرين في غرب خراسان.

وقد حكم كريم الزندي (١٧٦٣ ـ ١٧٧٩) واعاد توحيد ايران وكان يهدف الى الاستيلاء على تجارة الخليج الفارسي بواسطة الاستيلاء على البصرة، وهي الميناء العثماني في العراق. ولدى موت كريم خان ظهر اتباع قاجار Qājār واستولوا على السلطة، واسسوا دولى شيعية جديدة حكمت خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.

وعلى خلاف الهند المغولية، او الامبراطورية العثمانية، فإن ايران تحت حكم «القاجار» Qājār استعادت السيطرة بانتهاء القرن الثامن عشر على معظم المناطق التي استولى عليها من قبلهم في القرن السابع عشر.

لكن اقتصاد ايران تأخر فترة من الزمن (١٧٢٢ ـ ١٧٩٧)، في الوقت الذي كان فيه اقتصاد روسيا وبريطانيا يتقدم[١٤].

وقد كان لهذه الاتجاهات السياسية تأثير كبير على علماء الشيعة، وقد كان لعلماء الشيعة من المدرسة الاصولية نفوذ كبير تحت حكم آخر حاكم صفوي وهو الشاه سلطان حسين، وكان لهم ايضاً ثراء ومركز.

على ان الاستيلاء الافغاني على اصفهان عام ١٧٢٢ شتت كثيراً من أُسر هؤلاء العلماء، كما ان كثيرا من رجال الدين الشيعة والتجار الشيعة والتجار هربوا من ايران خلال الربع الثاني من القرن الثامن عشر واتجهوا نحو الاماكن المقدسة في العراق العثمانية.

ورغم ان عدد سكان اصفهان تقلص من ٢٥٠,٠٠٠ نسمة الى ٥٠,٠٠٠ فقط، الا انها ظلت احدى المدن الكبيرة في ايران ومركزاً للتصوف خلال هذه الفترة.

اما مراكز الاصوليين في ايران فقد ظلت نشطة رغم ان المعلومات قليلة عن هذه

---

(١٤) هذه الحوادث درست في كتاب لورنس لوكهارت: سقوط الخلافة الصفوية والاحتلال الافغاني لايران (كامبردج، مط: جامعة كامبردج، ١٩٥٨)، ونادر شاه (لاهور المرفان، ١٩٧٦)، وكتاب جون ر. بيري: كريم خان الزندي: تاريخ ايران، ١٧٤٧ ـ ١٧٧٩ (شيكاغو: مط. جامعة شيكاغو، ١٩٧٩).

المراكز مثل شيزار وتبريز وغيرها.

واتبع علماء الشيعة في ايران استراتيجيات مختلفة للتعامل مع التقلبات الكثيرة في خلال القرن الثامن عشر، ومنها الهجرة الى الاماكن المقدسة العراقية، والبعض كان يطمح الى استعادة المركز الديني في اصفهان والبعض تزوج من أُسر تجار غنية.

واستقر الكثيرون في مدن ايران الصغيرة وفي بعض القرى الكبيرة حيث تزعم رجال القبلية مع انهيار الحكم المركزي.

واعتلى رجال اسرة المجلسي Majlisi مراكز دينية كبيرة في عدد من المدن.

واخيراً، بحث البعض عن عمل في البنغال (التي كانت تحكمها اسرة من الشيعة منذ عام ١٧٤٠ وحتى ١٧٥٧)، ومنهم منع عمل في الادب او الطب وغير ذلك[١٥].

وفي هذه الفترة كان المرء يجد الملا، ورجل الدين يحاولون ضمان امن اقتصادي لانفسهم عندما خف ارتباطهم بالبلاط منذ عام ١٧٢٢ حتى ظهور الزنديين، وهذا ما ادى الى نمو قوة العلماء في القرن التاسع عشر والقرن العشرين[١٦].

كذلك فقد حدثت تطورات كبيرة في العراق خلال القرن الثامن عشر، فقد حكم (حسن باشا) وهو عثماني، العراق حكماً قاسياً (١٧٠٢ ـ ١٧٢٤)، لكن العراق كابد من غزوات ايرانية بقيادة نادر شاه خلال حكم حسن باشا، وبعد ذلك كون سليمان باشا ابو ليلى باشا (١٧٥٠ ، ١٧٦٢) دولة مملوكية استمرت بعده الى ان استعاد العثمانيون الحكم المباشر عليها في عام ١٨٣١. وقد حصلت الدولة المملوكية على الاستقلال ولكن بالاسم.

اما المدن ذات المقامات المقدسة في العراق والتي كانت تحت الحكم السني العثماني فقد بقيت مراكز للمدرسة الاخبارية الاكثر محافظة، وبانهيار الدور الشيعي في ايران وبسياسة ضد الدين التي اتبعها الحكام الجدد فقد العلماء كثيراً من فرصهم السابقة للقيام بدور حقيقي او اجتماعي فعلي.

وقد ادى انهيار معظم المراكز الدينية الشيعية الكبرى في ايران الى ان تصبح الاماكن المقدسة في العراق اكثر عظمة لبقية العالم الشيعي، وقد حصل نادر شاه من العثمانيين على تعهدات على عدم اخذ ضرائب من الحجاج الذين يزورون هذه الاماكن، وادت تجارة الحجاج الى جلب الثراء للعراق من ايران والهند، ووهب المماليك المدن المقدسة استقلالاً نسبياً بالنظر الى الخوف من غزو ايراني جديد، واعطى كل هذا لعلماء الشيعة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء كثيراً من الثروة والقوة والاستقلال في الفترة التي تلت هذا في القرن الثامن عشر.

وكان للاتجاه السياسي تأثيرات مختلفة حول الشيعة في اماكن عديدة من الشرق الاوسط، ففي ايران، كان لسقوط الصفويين اثر في التقليل من سلطة علماء الشيعة وفي

---

(١٥) انظر حميد الغار Hamid Algar: التشيع وايران في القرن الثامن عشر، سلسلة دراسات ناف وأوين Naff and Owen، ص٢٨٨ ـ ٣٠٢.

(١٦) هذا التحليل مأخوذ من كتاب آغا احمد بهبهاني: مرآة الاهالي جهان نامة، مخطوط فارسي، Add رقم 24,052 الاوراق ١٧ ـ ٤٣، المكتبة البريطانية لندن، ولدراسة كاملة عن الشيعة في القرن الثامن عشر، انظر ج. ر. أ. كول رجال الدين الشيعة في العراق وايران من ١٧٢٢ ـ ١٧٨٠: الصراع الاخباري ـ الاصولي سلسلة دراسات ايرانية ١٨، ورقم (١)، (١٩٨٥)، ص٣ ـ ٤٣.

فقرهم، اما في العراق فقد كان لمحاولات الايرانيين في الاستيلاء على المدن ذات الاماكن المقدسة اثر على استمرار الحج والتجارة وكان لظهور الحكم الاقليمي المملوكي اثر في استقلال وثراء علماء الشيعة.

السلطة الإخبارية الجديدة 1722 ـ 1763 في العراق

حاول علماء الشيعة في القرن الثامن عشر محاربة بعض ما قيل عن تفسير المذهب الشيعي فقد عاد الصراع القديم بين الاصوليين والاخباريين بشكل جيد إذ ان الاخبارية في القرن الثامن عشر كانت اقل محافظة مما كانت عليه قبل الصفويين، فقد كان معظم الاخباريين في ايران والعراق متقبلين لشرعية صلوات الجمعة في الخفاء Occultation لكن الاخباريين كانوا يفضلون موقفاً اكثر تحفظاً تجاه اصدار الاحكام الشرعية باستثناء الاسلوب العقلاني للاصوليين. والحقيقة ان الصراع الايديولوجي كان يعكس التنافس بين الاسر الشيعية من العلماء وتنافس المناطق والقوى الاجتماعيى والاقتصادية التي تؤثر في دخلها.

لقد كان الشيخ يوسف البحراني ١٦٩٥ ـ ١٧٧٢ م شخصية كبيرة في التطور الفكري للشيعة. وقد نشأ في البحرين في اسرة من رجال الدين الاصوليين الذين كانوا ايضاً يعملون كتجارة اللؤلؤ.

واتجه الى سيراز هرباً من الغزو العماني للبحرين في عام ١٧١٧، ثم عاد الى كربلاء هرباً من الاستيلاء الافغاني لايران، وقد اتبع البحراني المدرسة الاصولية تاركاً مدرسته القديمة في البحرين.

وقد اعتمد كلاجيء من ايران الى كربلاء اول الامر على شخصيات دينية رفيعة من الاخباريين، ولما مضى الوقت، انتقل البحراني من الاخبارية الشديدة الى موضع اخباري ـ جديد له عناصر اصولية، ومع ذلك فقد نبذ المبادىء الاصولية للاحكام الشرعية والمنطق الاصولي الذي اُستخدم في تفسير الشرع، كذلك فقد طرح فكرة شرعية الحرب المقدسة خلال Occultation غيبة الامام[١٧]، وبتدفق الايرانيين الى كربلاء من اصفهان وغيرها من المدن الايرانية استخدم المعلمون الاخباريون في المدن المقدسة نفوذهم في اقناع هؤلاء باتباع المدرسة الاخبارية.

ويمكننا ان نلمس الاتجاه نحو الاخبارية في الفترة التي تلت عام ١٧٢٢ وذلك من خلال شخصية اخرى برزت في القرن الثامن عشر، وهي شخصية آغا باقر بن محمد أكمل (١٧٠٥ ـ ١٧٩٠)، وقد ولد في اصفهان وكان ينحدر من ناحية والدته، من اسرة المجلسي الدينية، وقد استطاع ان يؤثر في المجتمع بحيث يصل الى ما هو ابعد من المسجد، فقد كان له اخوة غير اشقاء يعملون في اصفهان وطهران كصرافين، وفي شيراز الزندية كضرائبيين، وقد هاجر اغا محمد باقر الصغير الى كربلاء في عام (١٧٢٢)، وذلك تحت تأثير الاخباريين

---

(١٧) انظر نيكي ر. كيدي: «جذور قوة العلماء او سلطانهم في ايران الحديثة»، في العلماء، الاولياء، المتصوفون: المؤسسات الدينية الاسلامية في الشرق الاوسط منذ عام ١٥٠٠، ن. ر. كيدي، محرر، (الطبعة الثانية ،بركلي ولوس انجلس): مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨، ص٢١١ ـ ٢٢٩.

هناك فتغير الى هذه المدرسة من الاصولية الاصفهانية[١٨] .

وسافر أغا محمد باقر في اوائل عام ١٧٣٠ الى بهبهان Bihbahan على الحدود في المناطق الايرانية وهي خوزستان وفارس، وحيث انتشرت كثير من العائلات الاصفهانية من العلماء في مثل هذه المدن الصغيرة (القصبات) في جنوبي ايران، وقد كانت هذه المدن رغم كونها قريبة نسبياً من المدن المقدسة، فإنها كانت تقدم أماناً كبيراً في هذه الفترة، اكثر بكثير مما تقدمه المدن الكبيرة.

ووجد اغا محمد باقر ان المؤسسات الدينية في بيهبهان في المدن المقدسة يسيطر عليها علماء من البحرين، كانوا قد اتبعوا من جديد الاخبارية، ورغم انه سايرهم لفترة الا انه عاد الى الاصولية الاصفهانية التي كان عليها، واشتبك في جدال مرير مع الاخباريين، وقد كان زعيماً أو إماماً كبيراً في الصلاة ومعلماً وظل كذلك فترة ثلاثين سنة[١٩] .

وما لبثت الثقافة الاصولية في اصفهان والتي تبددت في المدن المقدسة التي سيطر عليها الاخباريون في ١٧٢٠، ما لبثت ان عانت في عام ١٧٣٠ من عدم تأييدها من قبل نادر شاه (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧)، الذي حل بالقوة محل الافغانيين والصفويين، وقد فرض في سياسته على الايرانيين بأن يُعلنوا لعنهم للخلفاء الاوائل للسنة، وهذه السياسة مكنته من اخضاع كل من الافغانيين والفرسان القزلباش، والاقوياء من السنة والذين اتوا بعدهم من الشيعة المتينين.

كما اجبر نادر شاه علماء الشيعة ان يوافقوا على التسوية، وسعى بالاضافة الى ذلك الى اضعاف رجال الدين والحد من اي معارضة لسياسته من قبل رجال الدين، وذلك بواسطة مصادرة الهبات الكبيرة التي كانت تدعم المساجد وحلقات العلماء في اصفهان[٢٠] .

حركة احياء الاصولية في الفترة الزندية
(من 1763 ـ 1779)

عاد اغا محمد باقر الى العراق لفترة من الوقت في اوائل ١٧٦٠، ووجد البهبهاني وهو اسمه المعروف، ان المدن المقدسة اصبحت مكاناً عدائياً للاصولية، وكان الشيخ يوسف البحراني وهو في الستين من عمره ويصغر البهبهاني بعشر سنوات، مسيطراً على المؤسسات الدينية في كربلاء كمسؤول عن العلم الشيعي، وقد اعتبر البحراني بإخباريته الجديدة ان الاصوليين غير طاهرين من ناحية الطقوس، وكان يمسك بمنديل عندما يحمل كتاباً من تأليفهم (من اعمال الاصوليين) حذراً من النجاسة وكان من يحمل كتاباً للاصوليين في الشارع عرضة للاغتيال ايضاً[٢١] .

---

(١٨) البحراني: لؤلؤة البحرين، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣، والخوانساري: روضات الجنات، ج(٨) ص٢٠٥ .

(١٩) بهبهاني: مراة الاحوال، الاوراق من ٣٦٠، من ٤٤٠ ـ ٤٥٦ .

(٢٠) المصدر نفسه: الاوراق من ٤٥٨ الى ٤٦٨، وكتاب علي ديواني: استاذ الكل أغا محمد باقر بن محمد أكمل بك وحيد البحراني (قم ـ شابخانة دار العلم، ١٩٥٨) ص١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢١) محمد مهدي كواكبي الاسترابادي: التاريخ النادري، تاريخ حياة نادر شاه، ترجمة جوق (لندن، ١٧٧٣)، ص٦٦ ـ ٦٧، وكتاب سيد عبد الله السويدي، مؤتمر النجف، القاهرة: المط. السلفية، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣، ص١٦ ـ ١٧، الجر Alagr: الشيعة وايران: ص٢٩١ وما بعدها.

وكانت السلطة في المدن المقدسة تتألف من مجموعة من المافيا ورجال الدين المتزعمين، وكان على اي شخص بارز من بين العلماء ان يعقد تحالفاً مع الاسياد اصحاب الارض والحراس الرئيسيين. فواجه البهبهاني اول الامر صعوبات كثيرة في كربلاء حتى انه فكر بشكل جدي في العودة الى ايران، لكنه بدأ بتدريس النصوص الاصولية في السر لمجموعة من التلاميذ الموثوق بهم، وكثير منهم كانوا سابقاً تلاميذ البحراني.

وكان الايرانيون في السابق عندما قدموا الى المدن المقدسة في (١٧٢٠)، كلاجئين فقراء، قد اندمجوا في الفكرة الاصولية الاخبارية للعرب الذين كانوا يحسنون لهم، وبعد اربعين سنة اصبح هناك خلية اصولية في كربلاء يتزعمها اعضاء من المجلسيين، وكانت تميز الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي للاحياء الايرانية في الاماكن المقدسة[٢٢].

وكانت عودة الثروات للعلماء في الفترة الزندية ولو جزئياً، قد تزامنت مع النهضة الاقتصادية للتجار او لطبقة التجار التي كانوا مرتبطين بها[٢٣].

وربما كانت ثروة اغا محمد باقر قد أتت عن طريق اقربائه او انسبائه الذين كانوا وكلاء اثرياء في البنغال، فبدأ البهبهاني يشعر الى حد ما بأنه اصبح لديه عدد كاف من التلاميذ، ودعم مالي، وضمان بحيث يمكنه ان يعلن تحديه للبحراني بصراحة، مما ادى الى استقطاب مجتمع العلماء في كربلاء خلال عام ١٧٦٠ وما بعده، وفي عام ١٧٢٢ عندما قضى البحراني، تولى البهبهاني وكان له مركز ذو اعتبار بحيث انه كان هو الشخص الذي صلى على جنازة خصمه العنيف.

وازاحت وفاة الشيخ يوسف اقوى زعيم من الاخباريين من الساحة، واتاحت بذلك للأغا محمد باقر وكان حينئذٍ في الستين من عمره، ان يقضي الحقبة الاخيرة من عمره في تعزيز مركزه، وفي هذه الفترة بدأ البعض بالتخلي عن الاخبارية الجديدة لصالح المدرسة الاصولية[٢٤]، ومن هؤلاء عدد من التلاميذ السابقين للبحراني بما فيهم أبناءهم البهبهاني وهم الطباطبائيين الصغار، وبعض الباحثين العرب او بعض العلماء الغرب.

وقد ساعد هؤلاء زعيمهم المسن في تدريب جيل جديد من المجتهدين الشباب الذين قدموا من ايران الى المدن المقدسة في السنوات الاخيرة من الهيمنة الزندية Zand، وفي اوائل ايام حكم قاجار Qājār.

وكانت حركة الاحياء الاصولية من ناحية الايرانيين ظاهرة في الفترة الزندية، ثم جاء اتباع قاجار فيما بعد ليدعموها، وقد كان هناك في المدن المقدسة نفسها نصراً اصولياً رافق نحو القوة الشيعية المحلية وانهيار السيطرة العثمانية المركزية، بحيث ان المبادىء الاصولية، مثل اقامة الصلوات الشيعية كان يمكن تنفيذها بالتدريج وذلك ما لم يحتمله العثمانيون عندما كان لهم يد قوية في العراق، وتعززت الاصولية بشكل خاص من قبل العائلات

---

(٢٢) ميرزا محمد تونيقابوي: قياس العلماء (طهران، كتابفروشى «علمية اسلامية»، دون تاريخ، ص: ٢١٠، والخوانساري: روضات الجنات (٢) ص٩٥.

(٢٣) البعد العرقي للصراع الاصولي ـ الاخباري قد اشار اليه وحيد رفتي Vahid Rafati في (تطور الفكرة الشيخية في الشيعة الاسلامية) رسالة دكتوراه، جامعة كاليفورنيا، لوس انجلس، ١٩٧٩، ص٣٠، وفي كتاب عباس امانات (الايام الاولى للحركة البابية، اصولها وتطورها) (رسالة دكتوراه، اكسفورد ١٩٨١، ص١٣ وما بعدها.

(٢٤) انظر كتاب Ricks: السياسة والتجارة ص٢٦٨.

الايرانية النازحة في المدن العربية المقدسة، لكن المدرسة اجتذبت دعم العلماء العرب المحليين ايضاً في ١٧٧٠ وما بعدها، وهيأ الزنديون رعاية جديدة وأمناً اقتصادياً في ايران، وبذلك شجعوا احياء الاحكام الشرعية الاصولية الفعالة.

خاتمة

اعتمد الشيعة الامامية في العراق وايران منذ البداية على قوتين، الاولى الطبقة الشعبية من اصحاب البدع وحب عائلة النبي (ص)، وقد ادت الى اتاحة الفرصة لان تبقى الشيعة الإمامية بين اصحاب الحرف في المدن العراقية والايرانية وبين العرب الزاحفين في العراق ولكي تنتشر بين الرعاة التركمان في الاناضول، اما الثانية فهي دعم الطبقة الحاكمة فقد ايدت الدين في الفترة البويهية، وقسم من الفترة المغولية، وتحت الحكم الصفوي والزندي، كما ان اتباع الطبقات الشعبية للدين قد ساعد على انتشاره تحت ضغط الحكومات المعادية مثل الاتراك السنة او المغول، رغم انه عانى من بعض النكسات في مثل هذه الحالات، وفي القرن السابع عشر اتاح الدعم من قبل الطبقة الحاكمة في جنوبي الهند للشيعة الامامية تطوراً ملموساً في المؤسسات الدينية، لكنه فشل في كسب ولاء الجماعات الهندوسية والسنية.

وشهدت الفترة الاخيرة من القرنين السابع عشر واوئل الثامن عشر نكسات سياسية بالنسبة للشيعة الامامية، فقد خلع المغول السنة، الملوك الباقين من الشيعة في جنوبي الهند، وحكم العثمانيون المناطق الشعبية في جنوبي لبنان وجنوبي العراق، وهزمت بعض القوات من مسقط البحرين الشيعية، وزحف السنة الافغان الى ايران وخلعوا الصفويين.

وكانت الشيعة الامامية في كل مكان تلقى كعقيدة مهاجمة، وذهب ثراء العلماء، ولم يبق حياً سوى الايمان من قبل عامة الشعب، على ان النصف الثاني من القرن الثامن عشر شهد انقلاباً فقد انعكس الامر، إذ ضعف المغول وسمحوا لحكامهم الشيعة في أود والبنغال بالاستقلال الذاتي، واسترجع الزنديون الحكم للشيعة في ايران، كما ان العثمانيين الذين انهاروا سمحوا للماليك السنة ان يستولوا على السلطة في العراق، مما ادى الى اعطاء حرية كبرى للمدن ذات الاماكن المقدسة، واستفاد علماء الشيعة من المناخ السياسي الذي تحسن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وذلك للتعبير عن فكرتهم الدينية للشيعة الاصولية.

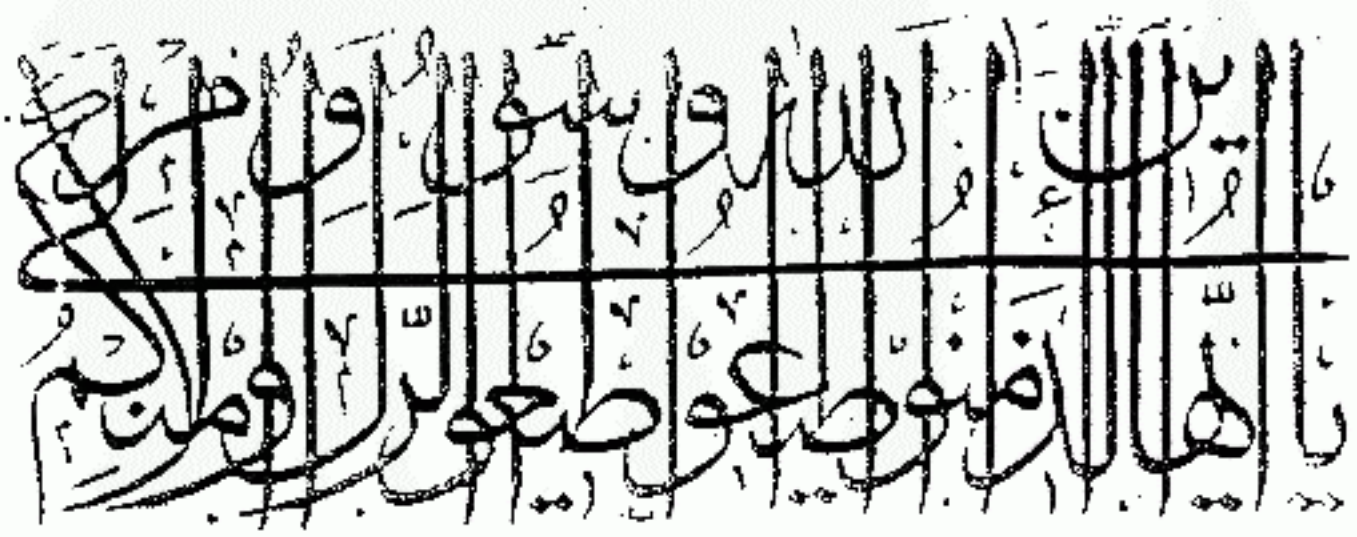

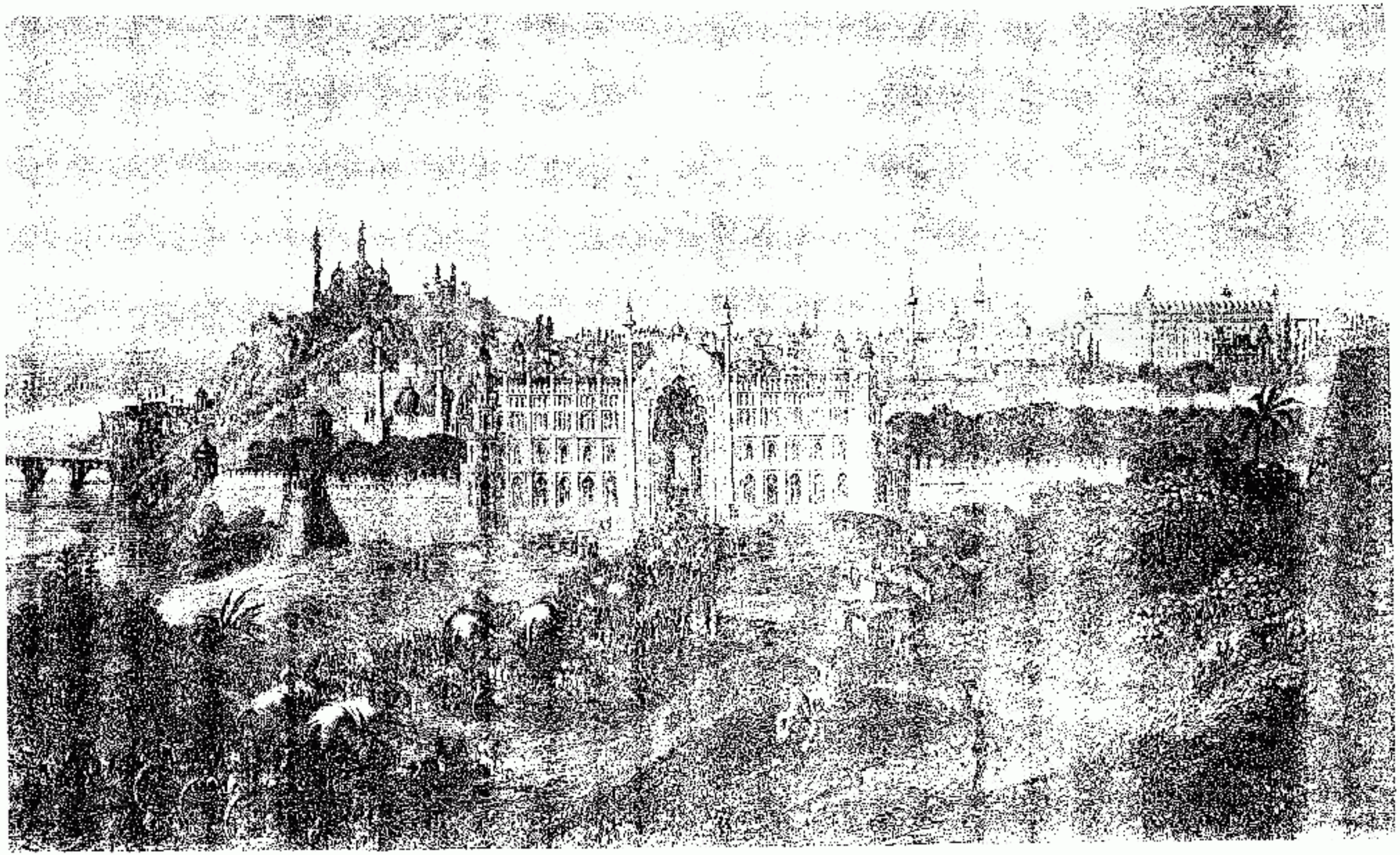

مدينة لكنو Lucknow عاصمة مملكة أود الشيعية في شمال الهند.
القطة من أيام نهضتها وازدهارها